الشَّاهد القرآنيّ في الخطاب الأخلاقيّ
عند ابن فهد الحِلِّيّ
في ضوء كتابه (عدَّة الداعي)

أ.د. حسن كاظم أسد
جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

The Qur'anic Witness in the Ethical Discourse
of Ibn Fahd Al-Hilli
In Light of his Book (Uddat Al-Da'i)

Prof. Dr. Hassan Kazim Asad
University of Kufa/College of Basic Education

ملخَّص البحث

إنَّ سعادةَ الإنسان في الدَّارين متوقِّفةٌ على العملِ بموجب القُرآن، وهذا لا يكونُ من دون فهم القرآن، فلا بُدَّ إذًا أنْ تكونَ قراءةُ القرآن بتدبُّر؛ للائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والاعتبار بقصصه، والاتِّعاظ بمواعظه، فقد كرَّر ذِكر كلمة الدعاء ومشتقَّاتها في الكثير من الآيات، ولكن اختلف معناها وتنوُّعها بحسب سياق الآية والموقف الذي ذُكِرت فيه؛ لذلك شغل الدعاء مكانًا كبيرًا ومهمًّا من كتاب الله العزيز، ولعلَّك تلحظ تناثر الدعاء من أوَّل سورةٍ فيه، مرورًا بطوال السور وقصارها، مكيِّها ومدنيِّها، حتَّى إذا انتهينا عند آخر سُور الكتاب المجيد، وجدناها دعاءً كريمًا يجسِّد صورةً معبِّرة لاعتراف الإنسان بضعفه، ولجوئه إلى خالقه، وتعلُّقه بحصنه من كلِّ ما دار بفكرٍ أو جال بخاطرٍ من أمرٍ عظيمٍ، فبدء القرآن بالدعاء وانتهاؤه به دافع للتفكُّر بأنَّ هناك سرًّا إلهيًّا في أن تكون فاتحة الكتاب كلُّها دعاءً، وخاتمته دعاءً، وما بين الفاتحة والخاتمة عقيدة وعبادة ودعاء.

إنَّ من أهم ضروريَّات الحياة الدعاء، فهو يدفع البلاء، وهو من أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه، وهو سلاح المؤمن، وبه يرد القضاء المبرم، وبناءً على ما تقدَّم، فإنَّ القرآن الكريم اشتمل على أنواع الأدعية للأنبياء والأولياء والصالحين، وحتَّى المذنبين، وحتَّى إبليس؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم حياة للبشر، وسعادة للأمَّة، ونجاة للفرد، فالدعاء من أبرز عوامل الانتصار على الأعداء والأشرار، ويسوق المجتمع إلى ساحل الأمن والأمان.

هذه الدراسة التي بين أيدينا هي دراسة كتاب (عدَّة الداعي ونجاح الساعي) لمؤلِّفه أحمد بن فهد الحِلِّيّ، من المؤلَّفات النفيسة والمهمَّة التي اتَّخذ المصنِّف فيها منهجًا في أدب الدعاء، كانت لمساته واضحة في العرض والمعالجة، فقد ضمَّ مجموعة نافعة في فضل الدعاء وأثره في تمام العبادة لله سبحانه وتعالى وكمالها، ومواضع الدعاء في الكتاب والسنَّة، ومباحث في جوامع الدعاء، وأوقات إجابة الدعاء، وأدعية وردت بالقرآن، وأدعية من صحيح السنَّة، وفوائد الدعاء وفضله.

قسم البحث على ثلاثة مباحث سبقت بمقدِّمة وخاتمة، وهي: مبحث تمهيدي: ويدرس من خلال: الشاهد، القرآن، الخطاب، الأخلاق، الخطاب الأخلاقيّ.

المبحث الأوَّل: ابن فهد الحِلِّيّ

المبحث الثاني: المصنَّف.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقيَّة في استعمال المؤلِّف للشاهد القرآنيّ.

Abstract

The happiness of man in both worlds depends on acting in accordance with the Qur'an, and this cannot be achieved without understanding the Qur'an. Therefore, the Qur'an must be read with contemplation, in order to obey its commands, refrain from its prohibitions, consider its stories, and learn from its sermons. The word supplication and its derivatives have been mentioned repeatedly in many verses, but their meanings and variations differ according to the context of the verse and the situation in which they are mentioned. Therefore, supplication occupies a large and important place in the Noble Book of Allah. Perhaps you notice the scattering of supplication from the first Surah in it, passing through the long and short Surahs, Meccan and Medinan, until when we end at the last Surah of the Glorious Book, we find it a noble supplication that embodies an expressive image of man's recognition of his weakness and his resort to his Creator and his attachment to His fortress from everything that comes to mind or crosses the mind of a great matter. So the

beginning of the Qur'an with supplication and its ending with it is an incentive to think that there is a divine secret in the fact that the opening of the entire Book is supplication and its ending is supplication, and between the opening and the ending is belief, worship and supplication. One of the most important necessities of life is supplication, as it repels calamity, is one of the most beloved deeds to Allah, the Almighty, and is the weapon of the believer, with which he repels the inevitable fate. Based on the above, the Holy Quran includes types of supplications for prophets, saints, righteous people, and even sinners and even Satan, because the Holy Quran is life for humanity, happiness for the nation, and salvation for the individual. Supplication is one of the most prominent factors in victory over enemies and evil people and leads society to the shore of security and safety. This study in our hands is a study of the book "Uddat al-da'i wa najah al-sa'i" by its author Ahmed bin Fahd Al-Hilli, one of the valuable and important books in which the author adopted an approach in the literature of supplication, and his touches were clear in the presentation and treatment. He included a useful collection on the virtue of supplication and its effect on the completion and perfection of worship of Allah, the Almighty, the Most High,

and the places of supplication in the Book and Sunnah, and discussions on the comprehensiveness of supplication, and the times of answering supplication, and supplications mentioned in the Quran. Supplications from the authentic Sunnah, the benefits of supplication and its merit.

The research is divided into three sections preceded by an introduction and a conclusion, which are: An introductory section: It studies through: The witness, the Qur'an, the discourse, ethics, and the ethical discourse.

The first section: Ibn Fahd al-Hilli

The second section: The author

The third section: An applied study of the author's use of the Qur'anic witness.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد بن عبد الله، وعلى آله الميامين، وصحبه المنتجَبين. وبعد..

فإنَّ سعادةَ الإنسان في الدَّارين متوقِّفةٌ على العملِ بموجب القُرآن، وهذا لا يكونُ من دون فهم القرآن، فلا بُدَّ إذًا أنْ تكونَ قراءةُ القرآن للفهم، والفهمُ للائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والاعتبار بقصصه، والاتِّعاظ بمواعظه. وأمَّا القُرآن فهو كتابٌ مُعجِزٌ؛ لكونه كتابَ الله تعالى، فقد كرَّر ذِكر كلمة الدعاء ومشتقَّاتها في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، ولكن اختلف معناها وتنوَّع بحسب سياق الآية القرآنيَّة، والموقف التي ذُكِرت فيه، وعلى الرغم من هذا الاختلاف في ذِكر الكلمة بأكثر من معنى، لا يمكن فهم تلك المعاني المختلفة إلَّا من القرآن الكريم نفسه، بمصطلحات وقواعد قرآنيَّة، كي نتدبَّر؛ لنفهم ونعقل.

لذلك شغل الدعاء مكانًا كبيرًا ومهمًّا من كتاب الله العزيز، ولعلَّك تلحظ تناثر الدعاء من أوَّل سورةٍ فيه، مرورًا بطوال السور وقصارها، مكيِّها ومدنيِّها، حتَّى إذا انتهينا عند آخر سور الكتاب المجيد، وجدناها دعاءً كريمًا يجسِّد صورةً معبِّرة لاعتراف الإنسان بضعفه، ولجوئه إلى خالقه، وتعلُّقه بحصنه من كلِّ ما دار بفكرٍ أو جال بخاطرٍ من أمرٍ عظيمٍ، فبدء القرآن بالدعاء وانتهاؤه به دافع للتفكُّر بأنَّ هناك سرًّا إلهيًّا في أن تكون فاتحة الكتاب كلُّها دعاءً، وخاتمته دعاءً، وما بين الفاتحة والخاتمة عقيدة وعبادة ودعاء.

الدعاء في الإسلام هو عبادة تقوم على سؤال العبد ربَّه، والطلب منه، وهي عبادة من أفضل العبادات التي يحبُّها الله خالصةً له، ولا يجوز أن يصرفها العبد إلى غيره.

إنَّ من أهمِّ ضروريَّات الحياة الدعاء، فهو يدفع البلاء، وهو من أحبِّ الأعمال إلى الله سبحانه، وهو سلاح المؤمن، وبه يَرِدُ القضاء المبرم، وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ القرآن الكريم اشتمل على أنواع الأدعيَّة للأنبياء والأولياء والصالحين، بل المذنبين، بل إبليس؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم حياة للبشر، وسعادة للأمَّة، ونجاة للفرد المحاط به البلاء من كلِّ مكان، في حديث الأربعمائة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء، قبل ورود البلاء، فو الذي فلقَ الحبَّة وبرأ النسمة، لَلبلاء أسرع إلى المؤمن من انحدار السَّيل من أعلى التلَّة إلى أسفلها، ومِن ركض البراذين، سلوا الله العافية من جهد البلاء، فإنَّ جهد البلاء ذهاب الدين**»[1].

وكذلك المجتمع الإسلامي محاط بالشرور الاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيَّة، فالدعاء من أبرز عوامل الانتصار على الأعداء والأشرار، ويسوق المجتمع إلى ساحل الأمن والأمان، وهذا هو شيخ المرسلين يخاطب ربَّ العالمين، ويبثُّ له شكواه عن قومه الكافرين، ثمَّ يذكر نهضته وما قام به من عمل دؤوب، ليلًا ونهارًا، سرًّا وإعلانًا، يجاهد في سبيل الله، لا يخاف لومة لائم، ولكن لم يصل إلى النتيجة المطلوبة، فدعا عليهم بالفناء. فإنَّك لترى الحوار الدعائيّ بسيط جدًّا، وتتجلَّى فيه الأمور الآتية:

١. طوائف الداعين.

٢. أدعية الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام.

(١) الخصال الصدوق (٣٨١هـ): ٦٢١، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣/ ١٣٦٢ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرفة.

٣. أدعية أصحاب الإيمان، كدعاء الابن، وأدعية الناس.

٤. أدعية المنحرفين، أدعية أصحاب النار، الاعتراف بالذنوب، طلبان للشيطان الرجيم.

٥. الاتصال بالله مباشرةً، بلا أيَّة واسطة.

٦. الاستجابة مباشرة وفوريَّة.

٧. الكلام عادي وبسيط، وليس فيه ارتعاش وخوف.

٨. وفي نهاية المطاف فيه، طلب الغفران.

وهذه الدراسة التي بين أيدينا، هي دراسة كتاب عدَّة الداعي ونجاح الساعي، لمؤلِّفه أحمد بن فهد الحِلِّيّ، من المؤلَّفات النفيسة والمهمَّة التي اتَّخذ المصنِّف فيها منهجًا في أدب الدعاء، كانت لمساته واضحة في العرض والمعالجة، وتضمُّ هذه الدراسة مجموع نافع في فضل الدعاء وأثره في تمام العبادة لله سبحانه وتعالى، وكمالها، وقد استقصت الدراسة مواضع الدعاء في الكتاب والسنَّة، وأقوال السَّلف في الدعاء، ومباحث: في جوامع الدعاء، وأوقات إجابة الدعاء، وأَدْعِيَةٌ وَرَدَتْ بِالْقُرْآنِ، وأدعية من صحيح السنَّة.. وغيرها ممَّا ضمته الدراسة من فوائد الدعاء وفضله.

وقد قسِّم البحث على ثلاثة مباحث، سُبِقت بمقدِّمة ومبحث تمهيدي، وكما يأتي:

مبحث تمهيدي، ويدرس من خلال:

- الشاهد.
- القرآن الكريم.

- الخطاب.
- الأخلاق.
- الخطاب الأخلاقي.

المبحث الأول: ابن فهد الحِلِّيّ.

المبحث الثاني: المصنَّف.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية في استعمال المؤلِّف الشاهد القرآنيّ.

ثمَّ الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

ولا أدعي الكمال فيما قدَّمته في غضون هذا البحث المتواضع، فهو بتوفيق من لدن الباري ﷻ، فالعصمة له وحده، فإن أصبت فهو حسبي، وإن أخطأت فجلُّ بني البشر خطَّاؤون، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على خير خلقه محمَّد وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

مبحث تمهيدي

الشاهد

الشاهد لغة: يُشتقُّ من: شَاهَدَ يُشَاهِدُ، مُشاهدةً، فهو مُشاهِد، على اسم الفاعل، والمفعول مُشاهَدٌ، وشاهدَ الشَّيء رآه عايَنه، والجمع: شواهِدُ وشاهدون وأشهاد وشُهداءُ وشُهَّد وشُهُود، والمؤنث: شاهدة، والشَّاهِدُ: مَن يؤدِّي الشهادة، والشَّاهِدُ: الدليل، والبرهان، والشاهد السماعيّ: الشَّاهِد الذي سمِع بأُذُنَيْه ما يَرْوي أو يُدْلي به في محكمة، وشاهد عِيان: شاهد يشهد بشيء رآه، على رؤوس الأشهاد، وعلى مرأى من الجميع، علانية جهارًا، صلاة الشَّاهد: صلاة المغرب، أو صلاة الفجر؛ لأنَّهما لا تقصر فيهما الصلاة فيصلِّيها الغائبُ مثل الشاهد، والشَّاهِدُ: السَّبَّابَةُ، الأُصْبُعُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ، وشاهد نحويّ: دليل من كلام العربيّ الفصيح، يُساق لإثبات قاعدة نحويَّة، وشَاهِدُ قَبْرٍ: حَجَرٌ مُسْتَطِيلٌ يَوضَعُ على القَبْرِ، وشَاهِدُ أُمَّتِهِ: نَبِيُّهَا[1].

ونتيجةً لما تقدَّم، يمكن أن نوجز معنى الشَّاهِدُ: وهو الذي يؤدِّي الشهادة على وقائع عرفها معرفة شخصيَّة؛ لكونه رآها بعينه، أو سمعها بأُذنه، وأمَّا لأنَّه رأها وسمعها في آنٍ واحد.

أو تعني العلم والبيان، وهي إثبات واقعة معيَّنة بما يقوله أحد الأشخاص، أو ما شاهده أو سمعه أو أدركه بحواسِّه من هذه الواقعة بطريقة مباشرة، وشهد فلان عند الحاكم: أي بيَّن ما يعلمه وأظهره، قال تعالى:

(١) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ): ٣/ ٢٣٨، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾[1].

القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه، أنزله على النَّبيّ محمَّد (عليه الصَّلاة والسَّلام)، وتكفَّل بحفظه إلى قيام السَّاعة، وجعله مُعجزةً مُصدِّقةً ومُؤيِّدةً لنبوَّة ورسالة النَّبيّ (عليه الصَّلاة والسَّلام)، وجاء كتابَ هدايةٍ ورشادٍ للبشريَّة، يستنير النَّاس بهدْيِهِ، ويتَّبعون تعاليمه، ويتقرَّبون إلى الله بتلاوته وحفظه والتَخلُّق بأخلاقه.

القرآن الكريم لغةً: اختلف العلماء في المعنى اللغويّ للقرآن الكريم على أقوال:

منهم من قال: إنَّ القرآن اسم عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغويّ، وغير مهموزٍ (أي قران)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النَّبيّ ﷺ، كما في أسماء الكتب الأخرى التَّوراة والإنجيل، وهذا القول منقول عن الشافعيّ وغيره.

من العلماء من ذهب إلى القول: إنَّ القرآن اسمٌ مشتقٌّ من القرائن؛ لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضًا، ويُشابه بعضه بعضًا، كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرَّاء.

ومنهم من قال: إنَّه مهموز (أي قرآن)، وهو مشتقٌّ من قَرَأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ وغيره. وذهب الزَجَّاج وغيره إلى القول بأنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ، أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن

(١) التوبة: ١٧.

بذلك؛ لأنَّه جَمعَ السُّـور بعضها إلى بعضٍ، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَّـماويَّة التي نزلت قبله، كما قال الرَّاغب.

القـرآن الكريم اصطلاحًـا: هو كلام الله تعـالى المُعجَز، المُوحَى بـه إلى النَّبيّ محمَّد (عليه الصَّلاة والسَّـلام) بواسطة المَلك جبريل عليه السلام، المنقول بالتَّواتر، المَكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المَبدوء بسـورة الفاتحة، والمختوم بسورة النَّاس، المقصود بأنَّه مُعجَز.

الأخلاق لغةً واصطلاحًا

الخلق والخلق: السـجيَّة. يقال: خالص المؤمن وخالق الفاجر. وفي الحديث: ليس شيء في الميزان أثقل من حسـن الخلق، الخلق، بضمِّ اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسـجيَّة، وحقيقتـه أنَّـه لصورة الإنسـان الباطنة، وهي نفسـه، وأوصافهـا ومعانيها المختصَّـة بها بمنزلة الخلق؛ لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حَسَـنة وقبيحة، والثواب والعقاب بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ممَّا يتعلَّقان بأوصاف الصورة الظاهـرة. إذن، فالخلق هو الهيئة والشَّـكل الذي يراه الإنسـان أمامـه، أو الطبيعية التي يُخلق بها الإنسـان، وهو الخلق بمعنى القوَّة والسـجايا الذاتيَّة للإنسـان[1]. ولذا يمكن القول بأنَّ: «الأخلاق هي مجموعة الكمالات المعنويَّة والسَّـجايا الباطنيَّة للإنسـان»[2]، فهي صفات.

وقـال بعض العلـماء: إنَّ الأخـلاق تُطلق على العمل والسُّـلوك، الذي ينشـأ من الملكات النفسانيَّة للإنسان، فهي سلوك[3].

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٨٥ -٩٢.
(٢) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ: ١/ ١٥.
(٣) ظ: الاخلاق في الإسلام، بحث منشور على موقع الإسلام.

وبذلك نقول: إنَّ الخُلق هو تلك الحالة النفسانيَّة التي تدعو الإنسان لأفعال لا تحتاج إلى تفكُّر أو تدبُّر[١]. أو هو: هيئة قائمة في النفس، تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة إلى تدبُّر وتفكُّر[٢].

وعلى هذا الأساس فالأخلاق تنقسم على قسمَين: ملكات تصدر من الأعمال والسلوكيَّات الحسنة، فهي فضائل، وأخرى تصدر عن أعمال وسلوكيَّات سيِّئة، تسمَّى الرذائل.

وعلم الأخلاق: «علمٌ يُبحَث فيه عن أسس اكتساب هذهِ الصفات الحسنة، وطُرق محاربة الصفات السيِّئة، وآثارها على الفرد والمجتمع»[٣].

الأخلاق في القرآن الكريم

أكَّد القرآن الكريم أهميَّة الأخلاق الفاضلة في تربية الإنسان وتعليمه، ويمكن متابعة ذلك من الآيات الكريمات:

١. ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٥]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٦]،

(١) ظ: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مِسكَوَيه: ٥١.
(٢) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ: ١/ ١٥.
(٣) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ: ١/ ١٥.
(٤) البقرة: ١٥١.
(٥) آل عمران: ١٦٤.
(٦) الجمعة: ٢.

تدلُّ الآيات الكريمات أنَّ الهدف والغاية من بعثة الرسول، هو توجيه النفوس وتعليمها مكارم الأخلاق.

٢. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، دلالة الآية في اهتمام القرآن الكريم بالقَسَم، ثمَّ إثبات الفلاح في تزكية النفس.

٣. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[2]، تدلُّ الآية دلالة ظاهرة على أنَّ الصلاة، وأداء الفرائض، لا يمكن أن يتمَّا إلَّا بتزكية النفوس.

٤. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]، تدلُّ الآية من خلال نداء الله ﷻ بالالتزام بالتكاليف في المجتمع، ونبذ الفُرقة، التي هي طريق الفشل، ثمَّ الحرص على التعاون، فقد أناط الله من خلال هذه النصوص، الحصول على السعادة في الدنيا والآخرة بتزكية النفس، من خلال الأخلاق في تطهير القلب، وتفعيل عناصر الخير لمقاومة التحدِّيات التي يواجهها الإنسان في سلوكه.

الأخلاق في السنَّة المطهَّرة

من الأحاديث المرويَّة عن الرسول ﷺ يتبين التركيز على الأخلاق الحسنة، وتجنُّب الأخلاق السيِّئة، منها:

(١) الشمس: ٧-١٠.
(٢) الأعلى: ١٤-١٥.
(٣) آل عمران: ١٠٣

١. قال الإمام الصادق عليه السلام، إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عُصِيَ اللهُ عزَّ وجلَّ بِهِ سِتٌّ: حُبُّ الدُّنيا، وَحُبُّ الرِّياسَةِ، وَحُبُّ الطَّعامِ، وَحُبُّ النَّومِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّساءِ»(١).

٢. سُئل الإمام عليّ عليه السلام عن الإيمان، فقال: «الإيمانُ عَلَى أَربَعِ دَعائِمَ، عَلَى الصَّبْرِ واليَقِينِ وَالعَدلِ وَالجِهادِ، والصَّبرُ مِنْها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلَى الشَّوقِ وَالشَّفَقِ وَالزُّهدِ وَالتَّرَقُبِ، الإشتياق للجنَّة والمنح الإلهيَّة، والخوف من العقاب والنَّار، دافعٌ للأعمال الصَّالحة، ورادع عن السيِّئات، والزُّهد بالدنيا وزبرجها يهوِّن المصائب، وانتظار الموت ونهاية الحياة، تحثُّ الإنسان لِفعل الأعمال الصَّالحة، واليَقِينُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلى تَبصِرَةِ الفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الحِكْمَةِ، وَمَوعِظَةِ العِبرَةِ، وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ، وَالعَدْلُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلَى غَائِصِ الفَهمِ، وَغَورِ العِلمِ، وَزُهْرَةِ الحُكْمِ، وَرَساخَةِ الحِلْمِ، وَالجِهادُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلَى الأمرِ بِالمَعرُوفِ، والنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، والصِّدقِ فِي المَواطِنِ، وَشَنآنِ الفَاسِقِينَ»(٢).

٣. عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تِكْذِب تَكذِبَ»(٣).

٤. قال الإمام عليّ عليه السلام: «أَشْرَفُ الخِلائِقِ التَّواضُعُ والحِلمُ وَلِينُ الجانِبِ»(٤)

نفيد ممَّا تقدَّم حثَّ الرسول صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام على تزكية النفوس، وهي غير محدَّدة، فهي متنوِّعة ومختلفة، وهي تابعة للدوافع والمقاصد.

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٦٩/ ١٠٥.
(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ: ٢٦٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

الخطاب

هـو توجيه الحديث أو الـكلام لشـخص أو لمجموعة من النـاس؛ لإيضاح فكرة معيَّنة، وله مجالات علميَّة، وأدبيَّة، وشـعريَّة، وفنيَّة، وسياسيَّة، وغيرها، ويُحلَّل بمناهج عديدة، وله أنواع عديدة، كاللفظيّ، وغير اللفظيّ.

الخطاب في اللُّغة: من الفعل الثُّلاثيّ خَطَبَ، وهو الشـأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيـل: هو سـبب الأمر. يقال: ما خطبـك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هـذا خطب جليل، وخطب يسـير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشـأن والحال، ومنه قولهم: جلَّ الخطب، أي عظم الأمر والشـأن. وفي التنزيـل العزيز، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[1]، وجمعـه خطـوب، والمخاطبـة: مراجعة الكلام، وقـد خاطبه بالكلام مخاطبـةً وخطابًا، وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واسـم الكلام: الخطبة، وهو الكلام المنثور المسـجع، ونحوه، والخطبة، مثل الرسـالة، التـي لها أوَّل وآخر[2]. فالخطاب إذن هو مراجعة الكلام، وهو الكلام والرسـالة، وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه، ونقيضه الجواب، وهو مقطع كلاميّ يحمل معلومات يريد المرسـل (المتكلِّم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسـل إليه (السـامع أو القـارئ)، ويكتـب الأوَّل رسـالة، ويفهمهـا الآخـر بنـاءً على نظام لغويّ مشـترك بينهم.

الخِطـاب اصطلاحًا: هو «مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشـتركة، أي إنَّه تتابع مترابط من صور الاسـتعمال النصِّيّ، يمكن الرجوع إليه في وقتٍ لاحق، وإذا كان عالم النصِّ هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة، من

(١) الذاريات: ٣١.
(٢) لسان العرب: ١/ ٢٦٥.

خلال استعمال النصِّ، فإنَّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغويَّة أو مجتمع ما.. أو جملة الهموم المعرفيَّة التي جرى التعبير عنها في إطارٍ ما»[1].

إذن: مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل، أو النصوص والأقوال، أو أنَّ الخطاب هو منهج في البحث في المواد المُشكَّلة من عناصر متميِّزة ومترابطة، سواء أكانت لغةً أم شيئًا شبيهًا باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أوَّليَّة، أو أيّ منطوق أو فعل كلاميّ يفترض وجود راوٍ ومستمع، وفي نيَّة الراوي التأثير على المتلقِّي، أو نصٌّ محكوم بوحدة كليَّة واضحة، يتألَّف من صيغ تعبيريَّة متوالية، تصدر عن متحدِّث فرد يبلِّغ رسالة ما. فهو مواجهة الآخرين بكلام قد يكون على شكل رسالة، أو محاضرة، أو تسجيل، أو نص معيَّن، وقد يتعدَّى الكلام إلى الرموز، وتتنوَّع أشكاله، فمنه اللفظيّ الذي يستخدم اللغة كأداة له، وغير اللفظيّ الذي يستخدم العلامات والإشارات والإيحاءات، ويأتي هذا المصطلح مرادفًا لكلمات كثيرة، كالكلام، واللغة، والرسالة، والحديث، والأطروحة، والنصِّ، والقول، والسرد، ويعرِّفه البعض على أنَّه رسالة يقدِّمها مرسل، ويستقبلها متلقٍّ.

أهداف الخطاب: يهدف الخطاب إلى وصف التعابير اللغويَّة بشكلٍ صريحٍ، بالإضافة إلى أنَّ الخطاب يفكِّك شفرة النصِّ الخطابيّ عن طريق التعرُّف على ما يحتويه النصُّ من تضمينات وافتراضات فكريَّة، وتحليل الخطاب هو معرفة الرسائل المُضمَّنة في النصِّ الخطابيّ، ومعرفة مقاصده وأهدافه، ويتمُّ تحليل الخطاب عن طريق الاستنباط والتفكير بشكلٍ منطقيّ، بحسب الظروف التي نشأ وكُتِب فيها النصُّ الخطابيّ، وهو ما يسمَّى بتحليل السياق الذي يعتمد عليه النصُّ.

(١) ظ: تحليل الخطاب الأدبيّ في نهج البلاغة (خطبة الجهاد نموذجًا)، م.م. أمير فرهنك نيا، جامعة تربيت مدرس، جمهورية إيران الإسلاميَّة، بحث منشور على موقع:
http://arabic.balaghah.net/content.

عناصر الخطاب: ثلاثة، هي: المرسل، المستقبل، الرسالة.

ولكي يكـون الخطاب مؤثِّرًا ومفيدًا، يجب أن يكون متكامل الأطراف، وهو يقوم على عدَّة ركائز أو عناصر، تُنظِّم الخطاب، وتُقيم ركائزه، وهذه العناصر هي:

- **المُؤلِّـف**: أي مَـن يقـوم بتوجيه الخِطـاب، وتكون لديـه القدرة عـلى التكلُّم والإبداع في ترتيب الكلام بشكلٍ منظَّم ومترابط.
- **المتلقِّـي**: أي من سـيوجَّه له الخِطاب، ويتميَّـز المتلقِّي بامتلاك حاسَّـة التوقُّع والانتظار في أثناء تلقِّيه الخطاب.
- **الرِّسالة**: أي مادَّة الخِطاب التي تُصاغ بصورةٍ أدبيَّةٍ إبداعيَّةٍ.
- **وسيلة الإيصال**: أي قناة الوصل بين المؤلِّف والمُتلقِّي، عبر الكتاب، أو وسائل الإعـلام المقروءة والمَسـموعة والمكتوبـة، أو من خلال الانترنـت والأجهزة الذَّكيَّة.

أنواع الخطـاب: للخطاب أنواع كثيرة، نظرًا لتعـدُّد المواضيع التي تحتاج للخطب والإقناع في عصرٍ أصبح فيه العلم والمُناقشـة، هما الصفتان السائدتان، فلا يمكن التأثير في الـرأي العام بسـهولة، كـما كان من قبل، لذا تعـدّدت أنواع الخطـاب للتأثير في آراء الناس وقناعاتهم بشكل أكبر.

١. **الخطابـات العقليَّـة**: التـي تقـوم عـلى الإقنـاع، هـي خطابـات مستحسـنة ومرغـوب فيهـا، تقـوم عـلى احـترام القيـم الإنسـانيّة، وتقديرهـا، مـن خـلال إعطـاء فرصـة للمتلقِّـي ليحكـم عـلى الأمـور، ومـن أمثلتهـا: الخطابـات الأدبيَّـة، كالخطابـات الشـعريَّة، وخطابـات المعالجـة النفسـيَّة، أو خطابـات المحاضرات.

٢. **الخطابات العاطفية**: هي خطابات تستخدم طريقة سلبيَّة تقوم على الخداع والحيلة، حيث لا تعطي المتلقِّي فرصة للحكم على الأمور بتأثيرها في مشاعره، فيكون المرسل هو المتحدِّث، وصاحب القرار في الوقت نفسه، ومن أمثلة هذا النوع: الخطابات التجاريّة، الخطابات السياسيَّة، الخطابات الدينيَّة (التبشيريَّة).

المناهج المستخدمة في تحليل الخطاب:

يستخدم المحلِّلون مجموعة من المناهج في شرح وتفصيل أجزاء الخطاب، وتأويلها، وتفسيرها، وذلك بتحليل الأسلوب المستخدم في النصِّ، والعلاقات بين الكلمات، واللغة، الأمر الذي يحتاج من المحلِّل وقتًا، ودقَّة، ووعيًا، وتذوُّقًا للكلمات، وفيما يأتي أهمُّ المناهج المستخدمة في تحليل الخطاب:

١. **تحليل يعتمد على البنية**: ويسمَّى البنيويّ، حيث يقوم هذا المنهج بتحليل النصِّ الأدبيّ بما في داخله، مهملًا حياة المخاطِب، والظروف التي عاشها في أثناء كتابته للخطاب.

٢. **تحليل يسمَّى بالسيميائيّ**: وهو تحليل يقوم على تتبُّع العلامات، والرموز، حيث يغوص في أعماق الخطاب، ويبحث عن مدلول الكلمات، ويتأثَّر هذا النوع بشخصيَّة المحلِّل، والظروف التي يعيشها، ممَّا يجعله يختلف من شخص إلى آخر.

٣. **تحليل الانزياحات اللغويَّة**: وذلك بالبحث والتحليل للوسائل اللغويَّة المستخدمة في النصِّ، والكشف عن مدى تأثيرها في المتلقِّي، حيث تشكِّل قوَّة ضاغطة على رأيه، واتِّجاهه.

تقسيم آخر:

١. **الخطاب القرآنيّ**: هو الخِطاب الموجود في القرآن الكريم بتنزيلٍ من العزيز الحكيم، وهو خطاب له مَدلولاته وإشاراته التي لا تنتهي، معصومٌ من التَّحريف والتَّبديل، كما أنَّه لا يُترجَم حرفيًّا إلى لُغاتٍ أخرى، وإنَّما تتمُّ ترجمة معانيه ومدلولاته، وشرح آياته ومفرداته، والخِطاب في القرآن الكريم على حسب الحاجة، فهو تارةً موجَّه للرَّسول صلى الله عليه وآله، أو لأزواجه، أو لعامَّة المسلمين وخاصَّتهم، أو لكفَّار قريش، أو للمنافقين وغيرهم، والخِطاب القرآنيّ أفضل الخِطابات على الإطلاق من حيث البلاغة اللُّغويَّة والإعجاز اللُّغوي والإبداع في اللَّفظ والمَعنى والتَّركيب، وورود في القرآن الكريم مرتبطٌ بالعزَّة، والحكمة، وعظمة الخالق عزَّ وجلَّ، وهو يُقسَّم إلى قسمين، هما:

- **خطاب إلهيّ**: هو الخطاب الربَّاني الذي لا يقع تحت التزامات الخطاب الإنساني، والتطوُّر، واستمدَّ صفة الخلود من مصدره، وهو الله عزَّ وجلَّ، ويتميَّز أيضًا بشموليَّة مواضيعه زمانًا ومكانًا.
- **خطاب بشريّ**: هو عكس الخطاب الربَّانيّ، فهو خطاب يَلتزم بقواعد الخطاب البشري، ويقع تحت وطأة الظروف التطورية، وغير شامل لجوانب الحياة، ومَصدره البشر، فهو يحتمل الخطأ والصواب في طيَّاته، ويتأثّره بخبرات قائله.

٢. **الخِطاب الإيصاليّ**: هو الخِطاب الموجّه من المُرسل إلى المُستقبل عبر رسالةٍ ما؛ الهدف منها إيصال أفكارٍ مُعيَّنةٍ من قِبَل المُرسل إلى شريحةٍ مُحدَّدةٍ من النَّاس، وعلى ذلك يأخذ الخِطاب الإيصاليّ أكثر من صورةٍ، منها: الخِطاب السِّياسيّ، والإرشاديّ، والتَّوعويّ، والنهضويّ، والتَّعبويّ: خطاب يهدف إلى تعبئة

الرأي العام تجاه قضيَّةٍ ما، والخِطاب الإعلاميّ والرّسميّ، من قِبل الدَّولة أو إحدى مؤسَّساتها، والخِطاب النَّفسيّ، وممَّا يُميِّز هذا الخِطاب أنَّه قد تُستخدم فيه أدواتٌ غير اللُّغة المنطوقة؛ كالدِّعايات الإعلانيَّة، والمنشورات، والبرامج التِّلفزيونيَّة والإذاعيَّة، كما أنَّ هذا النَّوع من الخِطاب عادةً ما يعود بالمنفعة على المُرسل ماديًّا أو معنويًّا أو كليهما، ويتكوَّن الخطاب الإيصاليّ من ثلاثة أقسام هي: المرسل، وهو الخطيب الذي يقرأ الخطاب على الجمهور، والمُرسل إليه، وهي الفئة المُستهدفة من الخطاب، والمتلقِّي، وهو الجمهور الذي يُلقى عليه الخطاب.

٣. **الخطاب الإسلامي**: هو الكلام الذي تكون مَصادره ومَراجعه القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، أو أيَّة مرجعيَّة إسلاميَّة أخرى، وتكون مواضيعه تشمل جوانب الحياة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعية والثقافية والدينيَّة وفق منظور إسلامي شامل، ويُعرَّف الخطاب الإسلامي عادةً بأنَّه المنهاج الذي يُنظِّم حياة المسلمين، ومن المُمكن تعريفه بتعريفٍ أعمّ وأشمل، ألا وهو أنَّ الخطاب الإسلاميّ هو الدعوة إلى الدين الإسلاميّ، ونشر تعاليمه وأخلاقه بين الناس.

٤. **الخِطاب الإبداعيّ**: يتكوَّن الخطاب الإبداعيّ من ستَّة عناصر، كما حدَّدها جاكبسون، تُغطِّي كافَّة الوظائف التي تؤدِّيها اللغة، تكون من ضمنها الوظيفة الأدبيَّة، فلقد وجد أن الصفة الأساسيَّة التي من أجلها وُجِد النصُّ، هي الاتصال، هذا ويأخذ النصُّ صفاته الخاصة والمميِّزة من تسلسل وظائف عناصر الاتِّصال، وليس من احتوائه على واحدة منها فقط.

تكثر أنواع الخطاب بتعدُّد الموضوعات المتعلِّقة به؛ فهنالك أنواع جديدة ظهرت

من الخطاب؛ بسبب التغيُّرات الحاصلة على واقع المجتمع العربيّ والإنسانيّ بشكلٍ عام، فهناك الخطاب القوميّ الذي يتعلَّق بالمواضيع القوميَّة، والخطاب الفلسفيّ الذي يُعنى بأمور الفلسفة وأصولها، والخطاب السياسيّ الذي يهتمُّ بالمَواضيع والأمور السياسيَّة، ويُعدُّ الخطاب من أكثر الأمور التي لاقت اهتمامًا مؤخَّرًا؛ لما له من تأثير في آراء الناس وقناعاتهم، وانتشار المذهب العقليّ الذي ينادي بضرورة إبراز الأدلَّة العقليَّة؛ للحكم على الحالات والظواهر التي تواجه الإنسان في حياته.

الخطاب الأخلاقي:

الإنسان موجود يعيش داخل إطار المجتمع والحياة الاجتماعيَّة، بحاجة إلى مراعاة الأصول والضوابط الأخلاقيَّة التي من الممكن أن تكون ناجمة عن دين وفكر إلهي، أو من صنيعة أفراد المجتمع المستمدَّة من التعاقد الاجتماعيّ، وفي كلتا الحالَتين، مجرد وجودها أفضل من عدمها.

إنَّ أهميَّة الأخلاق في الإسلام تصل إلى الحدِّ الذي عبَّر عنه رسولنا الأكرمﷺ بأنَّ السِّرَّ في بعثته كامن في هذا الأمر، حيث قالﷺ: «**إنَّما بُعثت لأتمِّمَ مكارم الأخلاق**»[1]، وكما جاء في ذِكر أخلاق الرسولﷺ، وما أدَّبته الآيات القرآنيَّة: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]. وعندما نقف على وصايا القرآن والسنَّة، نجد أنَّ جانبًا مهمًّا منها تختصُّ بالأخلاق والمسائل الأخلاقيَّة، ومن وجهة النظر الإسلاميَّة، فإنَّه لا يوجد بعد العمل بالفرائض شيء أفضل من الأخلاق عند الله تعالى؛ لأنَّ الإنسان موجود يعيش داخل إطار المجتمع، والمجتمع بحاجة إلى أصول وضوابط أخلاقيَّة؛ لذا فالإنسان موجود أخلاقيّ، أي إنَّه لا حياة إنسانيَّة بدون أخلاق.

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٨.
(٢) القلم: ٤.

فالحاجة إلى الأخلاق مهمَّة؛ لأنَّها تمتلك عمقًا فطريًّا وذاتيًّا في الإنسان، وهي ليست من ضرورات الحياة الاجتماعيَّة فحسب؛ لأنَّ فطرة الإنسان بحاجة إلى تكوين الإنسان أمينًا صادقًا نظيفًا ومنزَّهًا وبعيدًا عن أي نوع من الخصال السيِّئة؛ كالحسد، والضغينة، وسوء الظنِّ، والازدواجيَّة، والنِّفاق.

وأنَّه، بحسب حياته الاجتماعيَّة، مضطر إلى أن يتَّسم بالأخلاق؛ ليصبح بوسعه أن يحيا مع الآخرين ويعاشرهم معاشرة حَسنة، وأن يحبّ الناس ويراعي الأخلاق والصفات الإنسانيَّة وضوابط الحياة الإنسانيَّة، ولا بدَّ من الاستفادة من هذه الحاجة الفطريَّة والاجتماعيَّة والعمل على توجيه النفس، ودفعها نحو الأعمال الحسنة، والمرضيَّة، ونحو الفضائل الأخلاقيَّة، وضمن هذا الإطار فقط يتمكَّن الإنسان أن يذوق طعم الحياة الاجتماعيَّة، ويأخذ يصيبه منها، ويسير في طريق النمو والنضج.

لذا يجب العمل على خلق العوامل التي تصبُّ في صالح حياة الإنسان الاجتماعيَّة، وتنفعه في حياته اليوميَّة، ولو تلقَّى الإنسان الأخلاق واطَّلع على قواعده، ولم يعرف حقوقه وحقوق الآخرين؛ فإنَّ ذلك يوفِّر له إمكانيَّة مواصلة الحياة، وليس بوسعه أن يحيا بينهم بوجهٍ سليم، حتَّى أنَّه من الممكن أحيانًا أن يصبح وجهًا مرفوضًا وغير مرغوب به من قبل المجتمع، فلا بدَّ أن يطَّلع على ضوابط معقولة وصحيحة، أو لم يزيِّن نفسه بالأخلاق والطباع المناسبة.

ويمكن الوقوف على أهميَّة الأخلاق وضرورتها بشكلٍ أفضلٍ وأجلى، عندما نصطدم بأفراد لا يتمتَّعون بالأخلاق، إذ إنَّ أغلب المنحرفين والمذنبين في المجتمع، هم من الأفراد الذين لم ينالوا حظَّهم الكافي من الأخلاق، ومفسدو المجتمع هم من الإفراد الفاقدين للتربية الأخلاقيَّة، فالأخلاق الملوَّثة أفسدت أرواحهم، وضيَّعت حياتهم، والأمراض الأخلاقيَّة المزمنة تسبَّبت في تخبُّطهم وفسادهم.

ممَّا تقدَّم يمكن القول: إنَّ الوازع الدينيّ الأساس الرئيس من مقوِّمات الأخلاق المعنويَّة، والدين لا يقتصر على إقامة الشعائر الدينيَّة والعبادات، ولكنَّه يشمل أعمال الشخص وأقواله وتصرُّفاته في حياته اليوميَّة، سواء كان ذلك في بيته أو عمله، وهو يعدُّ عنصرًا أساسيًّا من عناصر تنشئة المجتمع تنشئة مستقيمة، فالدين والأخلاق يؤثِّران في سلوك الفرد وطبيعته، ويحقِّقان له السعادة الأبديَّة، وإذا تمكَّن الإيمان في قلب الفرد؛ فإنَّه يجعل منه خلقًا جديدًا، يهذِّب سلوكه، وينقِّيه من الشوائب، ويجعله سمحًا متساميًا محبًّا للخير لنفسه ولمجتمعه، نابذًا أعمال الفسق والرذيلة.

والإيمان الحقيقيّ والقيم الأخلاقية بما لهما من تأثير وارتباط وثيق يشكلان حجر الأساس في توجيه سلوك الإنسان وتشكيله، ويردعانه من مجرَّد التفكير في ارتكاب الجريمة، وكيف يُقدِم المؤمن الصادق على ارتكاب الجريمة، وكيف يعصي الإنسان من أحبَّ، وهو يعلم أنَّه مطَّلع علية في سرِّه وجهره، لهذا فأثر الدين والأخلاق في مقاومة الانحراف والجريمة قبل حدوثها بالغ الأهميَّة، فهما يوقِظان الضمير، ويجعلانه دائمًا مراقبًا للسلوك، محذِّرًا الفرد بما سيلقاه من عقاب، فينهيانه عن ارتكاب الجريمة، وهما بذلك يحاولان القضاء على النيَّة الخفيَّة التي تُحاك داخل الصدر قبل الظهور، بل يحرِّمانها ويعتبرانها أمرًا مكروهًا.

إنَّ مجرَّد معرفة الإنسان بأنَّ الله يعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، إنَّما هو رادع قويّ لعدم ارتكاب الجريمة، ولكن بطبيعة الحال، فالإيمان والأخلاق درجاتها متفاوتة من إنسان إلى آخر، يزيدان بالطاعات، وينقصان بالمعاصي.

يتَّضح جليًّا أهميَّة الدين، والأخلاق وأهميَّتها في تشكيل سلوك الإنسان وتوجيهه، ومن خلالها يمكن الحكم على مستوى الشعوب في شتَّى ميادين الحياة، وفق الالتزام بما

تقرِّره الشريعة الإسلاميَّة الغرَّاء والقوانين اللتان بيَّنتا بجلاء معايير المعاملات الدينيَّة والدنيويَّة وأُسسها.

إنَّ الأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريَّات مذهبيَّة، ولا مصالح فرديَّة، ولا عوامل بيئيَّة تتبدَّل وتتلوَّن تبعًا لها، وإنَّما هي فيض من ينبوع الإيمان، يشعُّ نورها داخل النفس وخارجها، فليس الأخلاق فضائل منفصلة، وإنَّما هي حلقات متَّصلة في سلسلة واحدة، عقيدته أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يخرق المسلم إحداها إلَّا أحدث خرقًا في إيمانه.

فبدوام الأخلاق وثباتها يهدف الإسلام في تشريعاته إلى خلق إنسان متوازن في جميع نواحيه النفسيَّة والروحيَّة والماديَّة، وقد خصَّ جانب طمأنينة النفس الإنسانيَّة بقدر كبير من التشريعات المتمثلة في الأذكار المتعلِّقة بجميع أنشطة المسلم وممارساته اليوميَّة والحياتيَّة، ذلك أنَّ انشغال الفكر بالهموم الماديَّة والمعنويَّة، وتشتُّت العقل تحت تأثير القلق من المستقبل، ومن مختلف أحداث الحياة، كلُّ هذه الوساوس والأفكار تعصف بالإنسان، وتجعله تحت ضغط نفسي كبير، يحدُّ من نشاطه، ويقلِّل من فعَّاليَّته في مواجهة مشكلاته؛ لذا اهتمَّ الإسلام بالإعداد النفسيّ للإنسان، بأن شرَّع للمسلم جملة من الأذكار التي تربطه بالله تعالى، وتحقِّق دافعًا معنويًّا ونفسيًّا قويًّا للملتزم.

لكلِّ هذه الأسباب، عنى الرسول ﷺ بربط المسلم بالأذكار المتعلِّقة بالآداب الشخصيَّة أو السلوك الشخصي للمسلم، وعندما يلتزم بهذه الأذكار، ويعمل بكلِّ التوجيهات النبويَّة الواردة، يجد في نفسه لذَّة الطاعة، وراحة النفس، إضافة إلى الثواب الجزيل من الله تعالى، وفوق ذلك كلِّه قوَّة الارتباط بالله تعالى، كما أنَّ الأخلاق في الإسلام ليست لونًا من التَّرف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوبًا

يرتديه الإنسان لموقف ثمَّ ينزعه متى يشاء، بل إنَّها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرَّك فيها الكواكب، لا تتغيَّر بتغيُّر الزمان؛ لأنَّها الفطرة. إنَّ أي مجتمع من المجتمعات الإنسانيَّة لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع الماديَّة فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنَّه لا بدَّ لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة في أقلِّ تقدير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعيَّة لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقِدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بدَّ منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكَّك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثمَّ أدَّى بهم ذلك إلى الانهيار، ثمَّ الدمار.

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى، فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهميَّة، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا؛ لفساد أخلاقهم.

فلو توخيَّنا آثار ثبات الأخلاق، لوجدناها تترتَّب على خاصيَّة الثبات في الأخلاق الإسلاميَّة، الآثار والمزايا في تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والاضطرابات التي تسودها، وتمكين الأواصر الإنسانيَّة بالودِّ والرحمة بينهما، خلافًا للمجتمعات التي تتبدَّل فيها القيم الاجتماعيَّة بحسب التغيُّرات الاقتصاديَّة، حيث نجدها تعيش في قلق واضطراب.

والتفريق بين الأخلاق والتقاليد، أنَّ الأخلاق ثابتة؛ لأنَّها جزء من الدين الموصى به، وهي بذلك كيان متكامل ربَّانيّ المصدر، إنسانيّ الهدف. أمَّا التقاليد فمن طبيعتها أن

تتغيَّر كلَّما تغيَّرت مسوِّغات وجودها، ولكن ليس بالإمكان تغيُّر الأخلاق؛ لأنَّها تقوم على أسس ثابتة، كالحقِّ والعدل والخير.

إنَّ عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع، والثبات على الأخلاق مطلوب؛ لأنَّ الأمور بخواتيمها، وبدون الاستقامة والثبات على الحقِّ، تفوت الثمرة، ولا يصل المسلم إلى الغاية.

وهذا التأكيد المتكرِّر والشديد في هذه الآيات، يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم يولي أهميَّةً بالغةً لمسألة الأخلاق، وأنَّ التزكية هي الهدف الأهم للإنسان، وتكمن فيها كلُّ القيم الإنسانيَّة، بحيث تكون نجاة الإنسان بها.

نعم إنَّ التَّكامل الأخلاقيّ للفرد والمجتمع، هو أهمُّ الأهداف التي تعتمد عليها جميع الأديان السماويَّة، إذ هو أساس كلِّ صلاح في المجتمع، ووسيلة رادعة لمحاربة كلِّ أنواع الفساد والإنحراف في واقع الإنسان، والمجتمع البشري، في حركة الحياة.

المبحث الأوَّل

المؤلِّف

اسمه ونسبه

هو أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن فهد الحِلِّيّ الأسدي، ولِد في الحِلَّة، التي تقع في وسط العراق، عام (٨٤١هـ)، وله من الشهرة والتفوُّق بالفضل والإتقان والذوق والعرفان والزهد والأخلاق والخوف والاشفاق[١]، يعدُّ من أهمِّ مراجع الدين الذين برزوا في حوزة كربلاء المقدَّسة، وقد أُجيز في علم الرواية[٢].

شخصيَّته العلميَّة والعمليَّة

له من الاشتهار بالفضل والإتقان والذوق والعرفان والزُّهد والأخلاق والخوف والإشفاق، وغير أولئك من جميل السياق، ما يكفينا مؤنة التعرُّف، ويغنينا عن مرارة التوصيف، وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، والقشر واللبِّ، واللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، والعلم والعمل، بأحسن ما كان يجمع ويكمل[٣].

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الأسديّ الحِلِّيّ: ٧.
(٢) ظ: الكنى والألقاب، القمِّيّ (١٣٥٩هـ): ١/ ٣٨٠، مكتبة الصدر، طهران.
(٣) ظ: روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمَّد باقر الموسويّ الخوانساريّ الأصبهانيّ: ١/ ٧١، الدار الإسلاميَّة، ط١ منقَّحة ومصحَّحة، ١٩٩١.

مشايخه

وله الرواية بالقراءة والإجازة عن جملة من تلامذة الشهيد الأوَّل، وفخر المحقِّقين[1].

١. الشهيد الأوَّل[2].

٢. الشيخ المقداد السيوريّ[3].

٣. الشيخ عليّ بن خازن الحائريّ[4].

٤. الشيخ ابن المتوَّج البحرانيّ[5].

(١) ظ: روضات: ١/ ٧١.

(٢) ظ: أمل الآمل، الحرُّ العامليّ: ١/ ترجمة رقم ١٨٨ «الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمَّد ابن جمال الدين مكِّي العامليّ، المعروف بالشهيد الأوَّل، أحد أبرز فقهاء الشيعة الإماميَّة، ممَّن ترك آثارًا واضحة على الفقه الشيعيّ تجديدًا وتطويرًا وتنقيحًا، له العديد من التصانيف القيِّمة التي ما زالت حتَّى يومنا هذا من الكتب التي يرجع الشيعة إليها في دراسة الفقه والعلوم الشرعيَّة». أمل الآمل في علماء جبل عامل، الشيخ محمَّد بن الحسن، الحرُّ العامليّ، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٢م.

(٣) ظ: كنز العرفان في فقه القرآن، الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين ابن محمَّد السيوري الحِلِّيّ، تحقيق: السيِّد محمَّد القاضي، عُنيت بنشره: المكتبة المرتضويَّة المختصَّة بالآثار الجعفريَّة: ١/ ١٥ و١/ ٢٩، «هو الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين بن محمَّد السيوري الحِلِّيّ، توفِّي سنة ٨٢٦هـ).

(٤) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٨/ ١٣٧-١٣٨، «زين الدين عليّ بن الحسن بن شمس الدين محمَّد بن الحسن بن الخازن الحائريّ، ولد سنة ٧٣٩ هـ، من أعاظم علماء الإماميَّة، كانت وفاته سنة ٧٩٣هـ». أعيان الشيعة: السيِّد محسن الأمين، تحقيق: السيِّد حسن الأمين، منشورات دار المعارف الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٥) ظ: أمل الآمل: ٢/ ١٦. «الشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمَّد بن عليّ بن الحسن بن المتوَّج البحرانيّ».

٥. السـيِّد الجليل بهاء الدين أبو القاسم عليّ بن عبد الحميد النيليّ، صاحب كتاب الأنوار البهيَّة[١].

تلاميذه والرواة عنه

ويروي عنه جماعة من العلماء الثقات الأجلَّة:

١. الشيخ علي بن هلال الجزائريّ[٢].

٢. الشـيخ الإمام الفقيه عزّ الدين حسن بن عليّ بن أحمد بن يوسف، الشهير بابن العشرة، الكروانيّ العامليّ.

٣. الشـيخ عبد السميع بن فيَّاض الأسـديّ الحِلِّيّ، صاحب كتاب (تحفة الطالبين في أصـول الدين)، وكتاب (الفرائـد الباهرة)، وكان من أكابر تلامذة أحمد بن فهد الحِلِّيّ.

٤. السيِّد محمَّد بن فلاح بن محمَّد الموسويّ[٣].

مؤلَّفاته

١. المهذّب البارع الى شرح النافع.

٢. المقتصر في الفقه.

٣. شرح الإرشاد.

(١) ظ: عدَّة الداعي: ٨.

(٢) ظ: المفيـد مـن معجم رجال الحديث، محمَّد الجواهـريّ: ٤١٧، ط٢، ١٤٢٤، المطبعة العلميَّة، نـشر مكتبـة المحلَّاتيّ، قم، إيران. «شـيخ الإسـلام عليّ بن هـلال الجزائريّ، ولِد سـنة ٧٥٧هـ في كربـلاء، وكانـت وفاته سـنة ٨٣٧هـ في النجـف الأشرف، كان فاضـلًا، متكلِّـمًا، عالـمًا، له كتاب..».

(٣) ظ: روضات: ١/ ٧١.

٤. الموجز الحاوي.

٥. المحرّر.

٦. فقه الصلاة.

٧. مصباح المبتدي وهداية المهتدي.

٨. شرح الألفيَّة.

٩. اللمعة في النيَّة.

١٠. كفاية المحتاج في مسائل الحاج.

١١. منافيات نيَّة الحج.

١٢. رسالة في التعقيبات.

١٣. المسائل الشاميَّات.

١٤. المسائل البحريَّات.

١٥. الدرر النقيَّة في فقه الصلاة.

١٦. الهداية في فقه الصلاة.

١٧. عدَّة الداعي ونجاح الساعي.

١٨. أسرار الصلاة.

١٩. التحصين وصفات العارفين.

٢٠. رسالة في العبادات.

٢١. الفصول في الدعوات[1].

(١) ظ: روضات: ١/ ٧١.

مولده ووفاته

ولِـد عام (٧٥٧هـ) في الحِلَّـة، وكانت وفاته في سـنة (٨٤١هـ) في مدينة كربلاء المقدَّسة، فيكون مبلغ عمره أربعًا وثمانين سنة[١]، وقبره معروف بكربلاء المشرَّفة، وسط بسـتان (صارَ البسـتان مدرسـة علميَّة دينيَّة في العصر الحاضر) بجنـب المخيَّم الطاهر، وكان صاحـب الرياض يتبرَّك بمزاره كثيرًا، ويُكثـر الورود عليه. ومن جملة من رثاه في مصيبته، الشـيخ أبو القاسـم عليّ بن جمال الدين محمَّد بن طـي العامليّ، صاحب كتاب المسائل الذي يُدعى (مسائل ابن طي)[٢].

(١) ظ: الكنى والألقاب: ١/ ٣٩٩.
(٢) ظ: روضات: ١/ ٧١.

المبحث الثاني

الكتاب

الكتاب

مـن تأليـف ابن فهد الحِلِّيّ، وحُقِّق من قِبَل دار الكتاب الإسـلاميّ في قم المقدَّسـة (د.ت)، وهـي الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وقد صحَّحه وعلَّق عليه أحمد الموسـويّ القمّي.

محتويات الكتاب

يحتوي الكتاب على مقدِّمة وستَّة أبواب رئيسة، وقد جاء في المقدِّمة تعريف الدعاء والترغيـب فيه، إذ حدَّده في اللغة والاصطلاح، معتمدًا في تعريفه على مصادر اللغة، ثمَّ يعرِّج على روايات لآل البيت عليهم السلام، تحدَّثت عن الدعاء وآليَّاته، وطرق اسـتجابته، فضلًا عن ذلك لم يهمل المؤلِّف الغرض الرئيس من تأليف الكتاب، قائلًا: «ولـمَّا كان المقصود مـن وضع هذا الكتاب الترغيـب في الدعاء، والحثِّ عليه، وحُسـن الظنِّ بالله، وطلب مـا لديه، فاعلم أنَّه قد ورد من الأخبار عن الأئمَّـة الأطهار ما يؤكِّد ذلك، ويدلُّ عليه، ويُرغِّب فيه، ويهدي إليه»[1].

وقـد عـرض المحقِّـق إلى معنـى ألفـاظ عنـوان الكتـاب، فالعـدَّة عـلى زِنَـة فعلـة، وهـي بمعنـى التجهُّـز بالمعـدَّات اللازمـة لنوائـب الدهـر، وحوادثـه

(١) عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٢.

وخطوبه[1]، والداعي اسم الفاعل من الفعل الثلاثيّ الناقص (دعا)، وهو الشخص الذي يدعو الله تعالى؛ نيلًا لمبتغاه، وعطفَ عليها نجاح الساعي، فالنجاح هو تحقيق الطموح والأمل، أمَّا الساعي، فهو اسم فاعل للفعل الثلاثيّ الناقص (سعى)، وهو الشخص الذي يسعى للحصول على شيء، وقد وردت في محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2].

ونقول إنَّ الذي يسعى لطلب شيءٍ ما، يجب أن يتسلَّح بالعدَّة التي تؤهِّل دعاءَه؛ كي يكون ناجحًا، وعلى هذا هنالك تطابق موضوعيّ بين العنوان ومحتوى الكتاب، أو الرسالة، كما أطلق عليه المؤلِّف.

تقسيم الموضوعات

١. الموضوعات الرئيسة:

ونقصد بها المقدِّمة والأبواب الستَّة التي تضمَّنها الكتاب، وهي على النحو الآتي:

أمَّا المقدِّمة ففي تعريف الدعاء، والترغيب فيه.

الباب الأوَّل: في الحثِّ على الدعاء، ويبعث عليه العقل والنقل[3].

الباب الثاني: في أسباب الإجابة، وقد قسِّم على سبعة أقسام[4].

الباب الثالث: في الداعي، وهو قسمان[5].

(١) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٢٨١، محرَّم، ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة، قم، إيران.
(٢) يس: ٢٠.
(٣) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٥.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٤٥.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٣١.

الباب الرابع: في كيفيَّة الدعاء، وله آداب ينقسم عليها[١].

الباب الخامس: فيما أُلحق بالدعاء، وهو الذِّكر[٢].

الباب السادس: في تلاوة القرآن[٣].

٢. الموضوعات الفرعيَّة:

في الأقسام السبعة من الباب الثاني:

القسم الأوَّل: ما تعود إلى نفس الدعاء[٤].

القسم الثاني: ما تعود إلى زمان الدعاء[٥].

القسم الثالث: ما تعود إلى مكان الدعاء[٦].

القسم الرابع: ما تعود إلى حالات الدعاء[٧]

القسم الخامس: حالات يقع فيها الدعاء[٨].

القسم السادس: ما يتركَّب من المكان والزمان[٩]

القسم السابع: ما يتشكَّل من الزمان والدعاء[١٠].

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٤٣.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ٢٤٥.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ٢٨٥.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٤٥.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ٥٥.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ٥٧.
(٧) ظ: المصدر نفسه: ٦٣.
(٨) ظ: المصدر نفسه: ٦٤.
(٩) ظ: المصدر نفسه: ٦٦
(١٠) ظ: المصدر نفسه: ٦٨.

في أقسام الباب الثالث، وهو قسمَان:

القسم الأول: من يُستجاب دعاؤه(١).

القسم الثاني: من لا يُستجاب دعاؤه(٢).

في أقسام الباب الرابع الثلاثة، وله آداب:

القسم الأول: ما يكون قبل الدعاء، كالطَّهارة، وشمِّ الطِّيب، واستقبال القبلة، والصَّدَقة(٣).

القسم الثاني: فيما يقارن حال الدعاء من الآداب، وهي أمور(٤):

الأوَّل: التلبُّث بالدعاء، وترك الاستعجال فيه؛ لما ورد في الوحي القديم(٥).

الثاني: الإلحاح في الدعاء(٦).

الثالث: تسمية الحاجة(٧).

الرابع: الإسرار بالدعاء(٨).

الخامس: التعميم في الدعاء(٩).

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٣١.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٣٧.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٤٣
(٤) ظ: المصدر نفسه: ١٤٣.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٥٣.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ١٥٤.
(٧) ظ: المصدر نفسه: ١٥٥.
(٨) ظ: المصدر نفسه: ١٥٦.
(٩) ظ: المصدر نفسه: ١٥٦.

السادس: الاجتماع في الدعاء[١].

السابع: إظهار الخشوع[٢].

الثامن: تقديم المدحة لله والثناء عليه[٣].

التاسع: تقديم الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام[٤].

العاشر: البكاء حال الدعاء[٥].

الحادي عشر: الاعتراف بالذنب قبل السؤال؛ لما فيه من الانقطاع إلى الله سبحانه، ووضع النفس[٦].

الثاني عشر: الإقبال بالقلب[٧].

الثالث عشر: التقديم في الدعاء قبل الحاجة[٨].

الرابع عشر: الدعاء للإخوان، والتماسه منهم[٩].

الخامس عشر: رفع اليدين بالدعاء[١٠].

---

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٥٧.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٥٧.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٥٩.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ١٦٠.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٦٢.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ١٦٧.
(٧) ظ: المصدر نفسه: ١٧٧.
(٨) ظ: المصدر نفسه: ١٨٢.
(٩) ظ: المصدر نفسه: ١٨٢.
(١٠) ظ: المصدر نفسه: ١٩٦.

القسم الثالث: في الآداب المتأخرة عن الدعاء، وهي أمور[١]:

الأوَّل: معاودة الدعاء وملازمته، مع الإجابة وعدمها[٢].

الثاني: أن يمسح الداعي بيديه على وجهه[٣].

الثالث: أن يختتم دعاءه بالصلاة على النبيِّ وآله الأطهار[٤].

الرابع: أن يعقب دعاءه بما روي عن الإمام الصادق: «**ما شاء الله، ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم**»[٥].

الخامس: أن يكون بعد الدعاء خيرًا منه قبله[٦].

منهجه في البحث

قسَّم المؤلِّف كتابه على أبواب، ومن ثمَّ إلى فصول وأقسام، أو مباحث.

١. الاقتباس القرآنيّ:

وهو الاستشهاد بالآيات القرآنيَّة الكريمة بلفظها ومعناها[٧]، التي تتعلَّق بموضوع

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٩٩.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٩٩.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ٢٠٩.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٢١٠.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ٢١١.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ٢١٣.
(٧) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزوينيّ، محمَّد بن عبد الرحمن جلال الدين (٧٣٩هـ): ٣٨١، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١١، مطبعة أمير، قم، دار الكتاب الإسلاميّ.

الدعاء، فقد استشهد بعدد كبير من هذه الآيات، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(٤).

وآيات أخرى لا تتعلَّق بالدعاء، وإنَّما يذكر الآية من باب الحجيَّة بالقول والدليل عليه، كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾(٥).

٢. الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف:

ويعدُّ هذا الاستشهاد في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، ويردُ هذا الأسلوب بالطريقة المباشرة كسالِفِهِ، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «**ألَا أدلُّكم على سلاحٍ يُنجيكم من أعدائكم، ويدرأ أرزاقكم؟** قالوا بلى يا رسول الله، قال: **تدعون ربَّكم بالليل والنهار، فإنَّ سلاح المؤمن الدعاء**»(٦)، وقوله ﷺ: «**إنَّ الرجل الأعجميّ من أمَّتي ليقرأ القرآن بعجميَّة، فترفعه الملائكة على عربيَّته**»(٧)، وقوله ﷺ: «**الدعاء مخُّ**

(١) الفرقان: ٧٧.
(٢) غافر: ٦٠.
(٣) الأعراف: ٥٦.
(٤) البقرة: ١٨٦.
(٥) البقرة: ٢١٦.
(٦) الكافي، الكليني (٣٢٩هـ): ٢/ ٤٦٨، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.
(٧) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن، الحرُّ العاملي (١١٠٤هـ): ٦/ ٢٢١، ٢٤٠، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤، مطبعة مهر، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرَّفة.

العبادة»[1]، وقوله ﷺ: «ما من مؤمنٍ دعا الله سبحانه وتعالى دعوةً ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم، إلَّا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إمَّا أن يعجِّل دعوته، وإمَّا أن يؤخِّر له، وإمَّا أن يدفع عنه من السوء»[2]، وقوله ﷺ: «إنَّ العبد ليَدعو الله، وهو يحبُّه، فيقول لجبرئيل: اقضِ لعبدي هذا حاجته، وأخِّرها فإنِّي أحبُّ أن لا أزال أسمع صوته، وإنَّ العبد ليدعو الله ﷻ، وهو يبغضه، فيقول: ياجبرئيل اقضِ لعبدي هذا حاجته، فإنِّي أكره أن أسمع صوته»[3].

٣. الاستشهاد بأقوال أئمَّة آل البيت عليهم السلام وأحاديثهم:

ونراه يستشهد لأمير المؤمنين عليه السلام، والإمام السجَّاد والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الهادي (صلوات الله عليهم)، ومن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام في الباب الثاني، في فضل ليلة القدر: «اللهمَّ إنِّي أسألك بكتابك المنزَّل، وما فيه اسمك الأعظم الأكبر وأسمائك الحسنى، وما يُخاف ويُرجى، أن تجعلني من عتقائك من النار»[4]، وقول الإمام الباقر عليه السلام في الباب نفسه: «ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة وإن كلام الطير فيه إذا لقي بعضها بعضًا سلامٌ سلامٌ يوم صالح»[5].

(١) سنن الترمذيّ، الترمذي (٢٧٩هـ): ٥/ ١٢٥، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ): ١/ ١٧٣، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ كانون الثاني ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ: ٢/ ٣٢٢٦، تحقيق: صفوت السقَّا وبكري الحيَّانيّ، منشورات دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، محمَّد باقر المجلسيّ: ٧/ ٣٦، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، قم، إيران، ٢٠٠١م، ط١.

(٥) عدَّة الداعي: ٣٣٩.

٤. **الاستشهاد بالشعر العربي**: ولاسيما القصائد المتعلِّقة بالدعاء، وهي المناجاة الإلهيَّة، وهذا الغرض الشعريّ يورده المؤلِّف في مواضع عديدة، وتمثِّل المناجاة ضربًا من ضروب الشعر العربيّ في الحقبة التي عاش فيها المؤلِّف، وتضمُّ (خشية العبد وخشوعه لله تعالى، من خلال الالتزام بأوامره، والانتهاء بنواهيه)، والسِّمة التي تنماز بها هذه المناجاة أنَّ المؤلِّف لم يذكر اسم ناظمها، فلا نعلم إن كانت هذه المناجاة من نظم ابن فهد الحِلِّيّ، أم من نظم غيره، مثال ذلك قوله في الباب الأوَّل: مناجاة لدفع الفقر والشدائد، والتي جاء في مطلعها:

يَا مَن يَرَى مَا في الضَّميرِ ويَسمعُ
أَنتَ المُعَدُّ لكُلِّ مَا يُتوقَّعُ[1]

ثمَّ مناجاة أخرى لم يضع لها عنوانًا، يقول فيها:

أُجلُّكَ عَن تعذيبِ مَثلي عَلى ذَنبي
ولَا ناصرَ لي غَير نَصرِكَ يَا رَبِّ[2]

٥. **آراء ابن فهد الحِلِّيّ التي يوردها في هذا الكتاب**، وهي تتبع له، فهو يستعمل أسلوب ذكر عنوان الموضوع الرئيس، مستشهدًا عليه بآية قرآنيَّة، أو حديث نبويّ شريف، أو قول لأحد المعصومين عليهم السلام، ثمَّ يذكر رأيه الشخصيّ؛ بحسب ثقافته، وهذا يدلُّ على حضور شخصيَّة المؤلِّف في معظم أرجاء الكتاب.

٦. **تقسيم أجزاء الكتاب على وفق منهج علمي متميز**، وهذا ما تطرَّقنا إليه في المبحث الثاني من تقسيمات الكتاب على أبوابٍ وفصولٍ وأقسام.

٧. **خلوّ معظم فصول الكتاب من عناوين**، وإنَّما يكتفي الحِلِّيّ بذكر كلمة فصل،

(١) عدَّة الداعي: ٣٥.
(٢) المصدر نفسه: ٣٥

ثمَّ يعرِّج على الشرح، وهذه السمة مخالفة لمنهج البحث العلميّ الحديث الذي يقتضي ذِكر عنوان لكلِّ فقرة يذكرها المصنِّف، وبعضٌ قليلٌ منها جاءت بعناوين، مثل: فصل في كراهية السؤال وردِّ الجواب.

٨. **أورد المؤلِّف في معظم أجزاء الكتاب لفظة (نصيحة)**، وهذه تعود إليه، معتمدًا على تجربته الشخصيَّة وخبرته الذاتيَّة التي صهرها في بوتقة الدعاء؛ ليمنح القارئ نصائح يفيد منها في هذا الأدب الرفيع، وهذه السمة جديدة، إذ لم يسبقه إليها أحد في هذا الجانب.

٩. **ذِكر السلسلة الروائيَّة التي تتعلَّق بنقل الحديث الوارد عن أئمَّة آل البيت عليهم السلام**؛ ليدلَّ بها على قوَّة الحديث وصحَّته، وقلَّما نجده لا يذكر هذه السلسلة.

١٠. **لم يذكر ابن فهد الحِلِّيّ المصادر التي استقى منها في هذا الكتاب**، سوى مصدَرين:

الأوَّل: كتاب الدعاء لمحمَّد بن حسن الصفَّار[١].

الثاني: بصائر الدرجات الكبرى (للمؤلِّف نفسه)[٢].

١١. **ذكر الروايات القديمة التي تتعلَّق بالنبوَّات السابقة**، والتي ترتبط بالكتاب في أدب الدعاء، كذكره روايات أنبياء الله (آدم وداود وسليمان ويعقوب ويوسف عليهم السلام)[٣].

١٢. **أسلوب الاستطراد الذي لجأ إليه المؤلِّف في معظم أجزاء الكتاب**، فانتقال المؤلِّف من موضوع إلى آخر، يُسهم في إبعاد السآمة والملل والضجر عن نفس القارئ،

(١) عدَّة الداعي: ٤٢.
(٢) المصدر نفسه: ٩٨.
(٣) المصدر نفسه: ٣٨، ٤٦.

إذ يتجوَّل بين آية قرآنيَّة وحديث نبويّ ورواية لمعصوم، وبين رواية لأحد الأنبياء، وهذه السمة ابتدعها الجاحظ (٢٥٥هـ) في آثاره الكتابيَّة النثريَّة.

١٣. استعمال ابن فهد العبارات الاعتراضية التي تفيد الدعاء في معظم أجزاء الكتاب، مثل (رعاك الله، وحفظك الله، ورحمك الله، وهداك الله)، وهذا الأسلوب ورد لدى مدرسة الجاحظ أيضًا، وتُظهِر هذه العبارة أدب المؤلَّف وثقافته العالية التي يوظِّفها من خلال الحوزة الدينيَّة التي كانت ميدانًا لعمل المؤلِّف.

١٤. عدم وجود توازن في حجم الأبواب المعدَّة للرسالة أو الكتاب، إذ شغل الباب الأول ٣٠ صحيفة، والباب الثاني ٨٦ صحيفة، والباب الثالث ١٢ صحيفة، والباب الرابع ١٠٢ صحيفة، والباب الخامس ٤٠ صحيفة، فيما شغل الباب السادس ٥٤ صحيفة، وقد يكون هذا ناجمًا عن طبيعة المادَّة المخصَّصة لكلِّ باب، فبعضها كبير، والآخر صغير.

المبحث الثالث

الشاهد القرآنيّ

(الباب الأوَّل)

في الحثِّ على الدعا[1]، في الفقرة ثانيًا: معتمدًا ومقدِّمًا العقل على النقل في الحثِّ على الدعاء، فيقول: «ويبعث عليه العقل والنقل، وأمَّا النقل فمن الكتاب والسنَّة[2]: أمَّا الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[4]، فجعل الدعا عبادة، والمستكبر عنها بمنزلة الكافر. وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[6].

ولا يكتفي بذكر الدليل، فيزيد موضِّحا ومحلِّلًا، فيقول: «واعلم أنَّ هذه الآية قد

(١) عدَّة الداعي: ١١
(٢) المصدر نفسه: ١٤
(٣) الفرقان: ٧٧.
(٤) غافر: ٦٠.
(٥) السجدة: ١٦.
(٦) البقرة: ١٨٦.

دلَّت على أمور:

الأوَّل: تعريضه تعالى لعباده بسؤاله، بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

الثاني: غاية عنايته بمسارعة إجابته، ولم يجعل الجواب موقوفًا على تبليغ الرسول، بل قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ولم يقل: قل لهم: أنِّي قريب.

الثالث: خروج هذا الجواب بالفاء المقتضى للتعقيب بلا فصل.

الرابع: تشريفه تعالى لهم بردِّ الجواب بنفسه؛ لينبِّه بذلك على كمال منزلة الدعا، وشرفه عنده تعالى، ومكانه منه. قال الباقر عليه السلام: «**ولا تمل من الدعا؛ فإنَّه من الله بمكان**»[1]، وقال عليه السلام: «لبريد بن معاوية بن وهب، وقد سأله كثرة القراءة أفضل أم كثرة الدعا؟ فقال عليه السلام: «**كثرة الدعا أفضل**، ثمَّ قرأ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾»[2]..[3].

وفي موضوع الإشكال بعدم إجابة بعض الدعوات وجوابه[4]

يُجيب في **الخامس**: دلَّت هذه الآية على أنَّه تعالى لا مكان له، إذ لو كان له مكان، لم يكن قريبًا من كلِّ من يناجيه.

والسادس: أمره تعالى لهم بالدعا في قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أي فليدعوني.

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرُّ العامليّ (١١٠٤هـ): ٧/ ٢٧، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، مطبعة مهر، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرَّفة.

(٢) الفرقان: ٧٧. وسائل الشيعة: ٧/ ٣٢.

(٣) عدَّة الداعي: ١٥.

(٤) المصدر نفسه: ١٤.

السابع: قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾، ثمَّ يستشهد بقول الصادق عليه السلام: «**أي: وليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوه فأمرهم باعتقادهم قدرته على إجابتهم**»(١).

وفيه فائدتان: إعلامهم بإثبات صفة القدرة له، وبسط رجائهم في وصولهم إلى مقترحاتهم، وبلوغ مراداتهم، ونيل سؤالاتهم؛ فإنَّ الإنسان إذا علم قدرة معامله ومعاوضه على دفع عوضه، كان ذلك داعيًا له إلى معاملته، ومرغِّبًا له في معاوضته، كما أن علمه بعجزه عنه على الضدِّ من ذلك، ولهذا تراهم يجتنَّبون معاملة المفلس.

الثامن: تبشيره تعالى لهم بالرشاد الذي هو طريق الهداية المؤدِّي إلى المطلوب، فكأنَّه بشَّرهم بإجابة الدعا.

ومثله قول الصادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام: «**من تمنَّى شيئًا، وهو لله رضًا، لم يخرج من الدنيا حتَّى يُعطاه**»(٢). ويروى هذا الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال عليه السلام: «**إذا دعوت فظن حاجتك بالباب. فإن قلت: نرى كثيرًا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم، فما معنى قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**»(٣)؟

فالجواب: سبب منع الإجابة الإخلال بشروطها من طرف السائل، إمَّا بأن يكون قد سأل الله عزَّ وجلَّ غير متقيِّد بآداب الدعا، ولا جامع لشرائطه.

(١) التبيان، الطوسيّ (٤٦٠هـ): ٢/ ١٣١، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملّي، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، جوامع الجامع، الطبرسيّ (٤٥٧هـ): ١/ ٩١٨٥، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢١، مطبعة: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ.

(٢) الأمالي، الصدوق: ٦٧٤، الخصال، الصدوق: ٤، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٨٥.

(٣) البقرة: ١٨٦.

ثـمَّ يعرض الدليـل الثاني، وهي السـنَّة الشريفة المتضمِّنة الآيـات القرآنيَّة، فيقول:

روى عثمان بن عيسـى عمَّـن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلـت: آيتين في كتاب الله أطلبهـما ولا أجدهما، قـال عليه السلام: وما هما ؟ قلت: قـول الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، فندعـوه ولا نرى إجابة، قال عليه السلام: **افترى الله أخلـف وعده؟** قلت: لا. قال: **فممَّ ذلك؟** قلـت: لا أدرى. فقال عليه السلام: **لكنِّي أخبرك، من أطاع الله فيما أمَرَه ثمَّ دعاه من جهة الدعا، أجابه.** قلت: وما جهة الدعا ؟ قال عليه السلام: **تبدأ فتحمد الله، وتذكر نعمهُ عندك، ثمَّ تشكره، ثـمَّ تصلِّي عـلى النبيِّ وآله صلى الله عليه وآله، ثمَّ تذكر ذنوبك فتقرُّ بها، ثمَّ تسـتغفر الله منها، فهذا جهة الدعـا.** ثمَّ قال عليه السلام: وما الآيـة الأخرى ؟ قلت: قـول الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1]، **وأنِّي لأنفق، ولا أدرى خلفًا.** قال: **افترى الله أخلف وعده؟** قلت: لا. قال: **فممَّ ذلك؟** قلت: لا أدرى، قال عليه السلام: **«لو أنَّ أحدكم اكتسـب المال من حِلِّه، وأنفقه في حِلِّه، لم يُنفِق رجل درهمًا إلَّا أخلف عليه»**[2].

ثـمَّ يعقِّـب على ذلك بقولـه: «وأمَّـا أن يكون قد سـأل ما لا صلاح فيـه، ويكون مفسـدة له أو لغيره إذ ليس أحد يدعو الله سـبحانه وتعالى على ما توجبه الحكمة فيما فيه صلاحه، إلَّا أجابه، وعلى الداعي أن يشـترط ذلك بلسـانه، أو يكون منويًّا في قلبه، فالله يجيبـه البتَّة إن اقتضت المصلحة إجابتها، أو يؤخِّر له إن اقتضت المصلحة التأخير. قال: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۚ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[3]. وفي دعائهم السلام يأمن لا يغير حكمته الوسائل.

(١) سبأ: ٣٩.
(٢) الكافي: ٣/ ٤٨٦.
(٣) يونس: ١١.

إنَّ علم الغيب منطويًا عن العبد، وربَّما تعارض عقله قوى الشهويَّة، وتخاطه الخيالات النفسانيَّة، فيتوهَّم أمرًا فيه فساده صلاحًا، فيطلبه من الله سبحانه، ويلحّ في السؤال عليه، ولو يعجِّل الله إجابته ويفعله به؛ لهلك البتَّة، وهذا أمر ظاهر العيان، غنِّي عن البيان، كثير الوقوع، فكم نطلب أمرًا، ثمَّ نستعيذُ منه، وكم نستعيذ من أمرٍ، ثمَّ نطلبه، وعلى هذا خرج قول عليّ عليه السلام: «**رُبَّ أمرٍ حرص الإنسان عليه، فلمَّا أدركه، ودَّ أن لم يكن أدركه**. وكفاك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فإنَّ الله تعالى من وفور كرمه وجزيل نعمه، لا يجيبه إلى ذلك، إمَّا لسابق رحمته به، فإنَّه هو الذي سبقت رحمته غضبه، وإنَّما أنشأه رحمةً به، وتعرُّضًا لإثابته، وهو الغنيُّ عن خلقه ومعاقبته، أو لعلمه سبحانه بأنَّ المقصود للعبد من دعائه، هو إصلاح حاله، فكأنَّ ما طلبه ظاهرًا غير مقصود له مطلقًا، بل بشرط نفعه له، فالشرط المذكور حاصل في نيَّته وإن لم يذكره بلسانه، بل وإن لم يخطر بقلبه حالة الدعا هذا الشرط، فهو كالأعجميّ الذي لُقِّن لفظًا لا يعرف معناه، أو سمع لفظًا توهَّمه علمًا على شيء، ثمَّ طلبه من عارف يقصده، فإنَّه يعطيه ما علم قصده إليه، لا ما دلَّ ظاهر لفظه عليه، وهذا هو معنى الدعاء الملحون الذي لا يقبله الله، على ما ورد في بعض الأخبار»[2].

في معنى دعاء الملحون، والإشكال بعدم إجابته وجوابه[3]

فإن قلت: قد ورد عن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنَّه قال: «**ما استوى رجلان في حسب ودين قطُّ، إلَّا كان أفضلهما عند الله عزَّ وجلَّ أدبهما** قال: قلت: جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النادي والمجالس، فما فضله عند الله عزَّ وجلَّ؟ قال عليه السلام: **بقراءة القرآن كما أُنزل،**

(١) سورة البقرة: ٢١٦.
(٢) عدَّة الداعي: ١٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٨.

ودعائه الله ﷻ من حيث لا يلحن، وذلك أنَّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله ﷻ»[1]، ويقرب منه قول الصادق عليه السلام: «**نحنُ قومٌ فُصحاء، إذا رويتم عنَّا فأعربوها**»[2].

ثمَّ يزيد البحث تعمُّقًا فيقول: «فإن كان المراد من هذين الحديثَين ما دلَّ عليه ظاهرهما، فكثيرًا ما نرى من إجابة الدعوات غير المعربات، وكثيرًا ما نشاهد من أهل الصلاح والورع، ومن يرجى إجابة دعائهم، لا يعرفون شيئًا من النحو. وأيضا إذا لم يكن دعائه مسموعًا، فلا فائدة فيه، فلا يكون مأمورًا به؛ لانتفاء فائدته، ولا يتوجَّه الأمر بالدعاء إلَّا إلى حذَّاق النحاة، بل النحويّ أيضًا ربَّما يلحن في بعض الأدعية؛ لافتقارها إلى الإضمار والتقدير والحذف، واشتغاله حالة الدعاء بالخشوع والتوجُّه إلى الله تعالى عن استحضار أدلَّة النحو وقوانينه، وكلُّ هذه الأمور باطلة، خلاف المشاهد من العلم، وضدّ المعلوم من أخبارهم عليهم السلام ووصاياهم، فإنَّهم دلُّوا على كلِّ شيء يتعلَّق بمصالح العباد»[3].

ثمَّ يوضِّح بعض المصطلحات في الرواية المذكورة، مستشهدا بأقوال المفسِّرين[4]، فيقول: «فاعلم أيَّدك الله أنَّه لـمَّا كان الواقع خلاف ما دلَّ عليه ظاهر الخبرَين، عدَلَ الناس إلى تأويلهما، فبعضٌ قال: الدعاء الملحون دعاء الإنسان على نفسه في حالة ضجره، بما فيه ضررها، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ): ٥٤/ ٢٩٢، تحقيق: عليّ شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) السرائر، ابن إدريس الحِلِّيّ (٥٩٨هـ): ٢/ ١٥٥، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

(٣) عدَّة الداعي: ١٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٩.

﴿يَعْمَهُونَ﴾[1]، قال المفسِّرون، أي ولو يعجِّل الله للناس الشرَّ، أي إجابة دعائهم في الشرِّ إذا دعوا به على أنفسهم وأهليهم عند الغيظ والضجر، مثل قول الإنسان: رفعني الله من بينكم. استعجالهم بالخير، أي كما يعجِّل لهم إجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوه بالخير؛ لقضى إليهم أجلهم، لفرغ من إهلاكهم، ولكن سبحانه تعالى لا يعجِّل لهم الهلاك، بل يمهلهم حتَّى يتوبوا، وقال بعضهم: الدعاء الملحون دعاء الوالد على ولده في حال ضجره منه؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله سأل الله عزَّ وجلَّ أن لا يستجيب دعاء محبٍّ على حبيبه. وبعضهم قال: الذي لا يكون جامعًا لشرايطه»[2].

وبعد عرضه لآراء المفسِّرين، يفنِّد آراءهم، فيقول: «والكلُّ بمعزل عن التحقيق؛ لأنَّ مقدِّمة الخبر لا تدلُّ على ذلك؛ لأنَّ الكلام قد ورد في معرض مدح النحو. بل التحقيق أن نقول: أمَّا الخبر الأوَّل فالمراد من قوله عليه السلام: **إن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزَّ وجلَّ**، أي لا يسمعه ملحونًا، ويجازى عليه جاريًا على لحنه، مقابلًا له بما دلَّ ظاهر لفظه عليه، بل يجازى على قصد الإنسان من دعائه. كما سمع من بعضهم يقول عند زيارته المعصوم عليهم السلام: وأشهد أنَّك قُتِلت وظُلِمت وغَصبت بفتح أوَّل الكلمة، ومن المعلوم بالضرورة أنَّ هذا الدعا لو سمع منه جاريًا على لحنه؛ لحكمنا بارتداده ووجوب تعزيره، ولم يقل به أحد، فدلَّ ذلك على أنَّ الدعا لا يجرى على ظاهر لفظه، إذا كان المقصود منه غير ذلك. ويدلُّ عليه أيضا إجماع الفقهاء أعلى الله تعالى درجاتهم على أنَّ إنسانًا لو قذف آخرًا بلفظ لا يفيد القذف في عُرف القائل، لم يكن قاذفًا، ولم يتوجَّه عليه عقوبة، وإن كان ذلك اللفظ مفيدًا للقذف في عرف غيره، فعلم أنَّ إعراب الألفاظ في الدعا ليس شرطًا في إجابته والإثابة عليه، بل هو شرط في تماميَّة فضيلته وكمال منزلته وعلوِّ مرتبته»[3].

(١) يونس: ١١.
(٢) عدَّة الداعي: ١٩
(٣) المصدر نفسه: ٢٠

وفي فقـرة مـا معنى الدعاء، إذا كان الله هو الفاعل عنـد اقتضاء الحكمة، وتارك إذا انتفت وجوابه[1].

بعـد أن يقـدِّم شيء، يفصِّل القول في المسـألة، فيقول: فما معنى الدعـاء إذا انتفت فائدته؟ فالجواب من وجوه:

الأوَّل: لا يمتنع أن يكون وقوع ما سـأله إنَّما صار مصلحة بعد الدعاء، ولا يكون مصلحة قبله.

في الوجـه الثـاني: إنَّ الدعـاء عبادة في نفسـه تعبد الله عبـاده به؛ لما فيـه من إظهار الخشوع والافتقار إليه، وهو أمر مطلوب لله ﷻ من عبيده. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

الثالـث: روي أنَّ دعـاء المؤمن يُضاف إلى عمله ويثاب عليـه في الآخرة، كما يثاب على عمله.

الرابع: إنَّ الإجابة إن كانت مصلحة، والمصلحة في تعجيلها عجلت، وإن اقتضت المصلحة تأخيرها إلى وقت، أجِّلت إلى ذلك الوقت، وكانت الفائدة من الدعاء مع حصول المقصـود زيادة الأجر بالصبر في هذه المـدَّة، وإن لم يوصف بالمصلحة في وقتٍ ما، وكان في الإجابة مفسدة، استحق بالدعاء الثواب، أو يدفع عنه من السوء مثلها.

وتحت عنوان في لزوم الخوف والرجاء عند إجابة الدعاء وعدمها[3].

جاء **خامسًا**: بما أخرت الإجابة عن العبد لزيادة صلاحه، وعظم منزلته عند الله ﷻ أنَّ الله إنَّما أخَّر إجابته؛ لمحبَّته سماع صوته.

(١) عدَّة الداعي: ٢٣

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) عدَّة الداعي: ٢٥

وزاد توضيح في فقرة تنبيه: «وأنت إذا دعوت، فلا يخلو ما أن ترى آثار الإجابة، أوَّلا، فإن رأيت آثار الإجابة فمهلًا لا تعجب بنفسك، وتظنُّ أن دعوتك أُجيبت لصلاحك وطهارة نفسك، فلعلَّك ممَّن كره الله نفسه وأبغض صوته، والإجابة حجَّة عليك يوم القيامة، يقول لك: ألم تكن دعوتني وأنت مستحقٌّ للإعراض عنك، فأجبتك؟ بل ينبغي أن يكون همُّك بالشكر والزيادة في العمل والصلاح، لما أولاك الله من ألطافه الباسطة لرجائك، المرغبة لك في دعائك، وتسأل الله أن يجعل ما عجَّله لك بابًا من أبواب لطفه، ونفحة من نفحات رحمته، وأن يلهمك زيادة الشكر على ما أولاك من تعجيل إجابة لست لها بأهل، وهو أهل لذلك، وأن لا يكون ذلك منه استدراجًا، وعليك بالإكثار من الحمد والاستغفار، فالحمد مقابل النعمة والمنَّة إن كان سبب الإجابة الرحمة، والاستغفار إن كان سببها الاستدراج والبغضة، وإن لم ترَ آثار الإجابة، فلا تقنط، وابسط رجائك في كرم مولاك، فإنَّه ربَّما أُخِّرت إجابتك؛ لأنَّ الله تعالى يحبُّ أن يسمع دعائك وصوتك، فعليك بالإلحاح»[1].

أمَّا **أوَّلا**، فلتحوز نصيبًا من دعائه.

وأمَّا **ثانيًا**، فلتصادف محبَّة الله تعالى؛ لأنَّه إنَّما أخَّرك بحبِّه سماع صوتك، فلا تقطع ذلك.

وأمَّا **ثالثًا**، فلتعجيل قضاء الحاجة بتكرار الدعاء على ما ورد، واقبض نفسك الأمَّارة بالخوف من الله تعالى جلَّ جلاله، وقل: لعلِّي إنَّما لم يستجب لي جلَّ جلاله؛ لأنَّ دعائي محجوب، وعملي لا ترفعه الملائكة؛ لكثرة ذنوبي، أو لكثرة المظالم والتبعات قبلي، أو لأنَّ قلبي قاسٍ أو لاهٍ، أو ظنِّي غير حَسن بربِّي، وكلُّ هذه الأمور حاجبة للدعاء على ما سيجيء، أو لأنَّ هذا الكمال لست له أهلًا، فمُنعتَه، ولو كنت له أهلًا؛ لأفاضهُ

(١) عدَّة الداعي: ٢٥

الكريم الرحيم عليك من غير سؤال، فإذن يحصل لك الخوف، تعرف أنَّك في محلِّ التقصير، وإنَّ مقامك مقام العبد الحقير الذي أبعدته عيوبه، وطردته ذنوبه، وقعدت به أعماله، وحبسته آماله، وحرمته شهواته، وأثقلته تبعاته، ومنعته من الجري في ميدان السالكين، وعاقته عن الترقِّي إلى درجات الفائزين.

وتحقَّق أنَّك مع هذا البعد والحقارة عن مولاك، وقعودك بأثقالك متخلِّفًا عن السابقين، ومنفردًا عن المخذولين، إن تخاذلت ساكتًا عن الاستغاثة بمولاك، ومتقاعسًا عن الاستقامة في طلب هداك، يوشك أن ينهزَ بك الشيطان فرصة الظفر، فتَعلَق بك مخالبه، فتنشب في حبائله، فلا تقدر على الخلاص، وتلحق بالأشقياء المعذَّبين، بل عليك بكثرة الاستغاثة والصراخ، قبل أن تعلق بك الفخاخ، ولازم قرع الباب عسى أن يرفع بك الحجاب، وقُل بلسان الخجل والانكسار في مناجاة ملك الجبَّار[1]:

«الهي وسيِّدي ومولاي، إن كان ما طلبته من جودك وسألته من كرمك غير صالح لي في ديني ودنياي، وأنَّ المصلحة لي في منع إجابتي، فرضِّني مولاي بقضائك، وبارك لي في قدرك حتَّى لا أحب تعجيل ما أخَّرت، ولا تأخير ما عجَّلت، واجعل نفسي راضية مطمئنَّة بما يرد على منك، وخِر لي واجعله أحب إليَّ من غيره، وآثَر عندي مما سواه. وإن كان منعك إجابتي وإعراضك عن مسألتي لكثرة ذنوبي وخطاياي، فإنِّي أتوسَّل إليك بأنَّك ربِّي، وبمحمَّد نبيِّي، وبأهل بيته الطيِّبين الطاهرين ساداتي، وبغناك عنِّي، وبفقري إليك، وبأنِّي عبدك، وإنَّما يسأل العبد سيِّده، وإلى من حينئذ منقلبنا عنك؟ وإلى أين مذهبنا عن بابك؟ وأنت الذي لا يزيده المنع، ولا يكيده الإعطاء، وأنت أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين»[2].

(١) ظ: عدَّة الداعي ابن فهد الحِلِّيِّ: ٢٥

(٢) مصباح المتهجِّد، الطوسيّ: ٥٠٢، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.

ثمَّ تذكر ما قاله عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في مناجاته، وتفكِّر فيما تضمَّنته من بسط الرجا: «**إلهي وعزَّتك وجلالك، لو قرنتني في الأصفاد، ومنعتني سبيك من بين الأشهاد، ودلَّلت على فضائحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار، وحلت بيني وبين الأبرار، ما قطعت رجائي منك، ولا صرفت تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبُّك عن قلبي، أنا لا انسى أياديك عندي، وسترك عليَّ في دار الدنيا، وحسن صنيعك إليَّ**». وتبسط بهذا وأمثاله رجاك؛ لئلَّا يميل به جانب الخوف، فيؤدِّي إلى القنوط، كما قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1]، ولا يميل به جانب الرجاء، فتبلغ الغرور والحمق.

وتحت فقرة نصيحة، قال:

«وينبغي لك مع تأخُّر الإجابة الرِّضا بقضاء الله تعالى، وأن تحمل عدم الإجابة على الخيرة، وأنَّ الحاصل بك هو عين الصلاح لك، فإنَّه غاية التفويض إلى الله تعالى، وحقٌّ له عليك، فإنَّه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «لا تسخطوا نِعَم الله، ولا تقترحوا على الله، وإذا ابتُلي أحدكم في رزقه ومعيشته، فلا يحدِّثن شيئًا يسأله، لعل في ذلك حتفه، لكن ليقل: (اللهم بجاه محمَّد وآله الطيبين إن كان ما كرهته من أمري هذا خير إلى وأفضل في ديني، فصبِّرني عليه، وقوِّني على احتماله، ونشِّطني بثقله، وإن كان خلاف ذلك خيرًا لي، فجُد عليَّ به، ورضِّني بقضائك على كلِّ حال، فلك الحمد)[2]..»[3].

في الحثِّ على الدعاء بأدلَّة من السنَّة[4].

(١) الحجر: ٥٦.

(٢) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام (٢٦٠هـ): ٢٦٤، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١ محقَّقة، ربيع الأوَّل ١٤٠٩هـ، مطبعة مهر، قم المقدَّسة.

(٣) عدَّة الداعي: ٣٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣.

وأمَّا ما دلَّ عليه من السنَّة بالاستشهاد بالآيات، قال: فكثير يفضي استقصائه إلى إسهاب وإضجار، فلنقتصر منه على إخبار:

في الثاني: «روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]، قال: **هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعا**، قال: قلت: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[2]، قال: **الأوَّاه هو الدعاء**»[3].

الرابع: «روى عبيد بن زرارة عن أبيه عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام: **الدعا هو العبادة التي قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي..﴾الآية، ادع الله، ادع ولا تقل: إنَّ الأمر قد فرغ منه**»[4].

الثاني عشر: «معاوية بن عمَّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: في الرجُلَين افتتحا الصلاة في ساعة واحدة، فتلا هذا القرآن، فكانت تلاوته أكثر من دعائه، ودعا هذا أكثر، فكان دعائه أكثر من تلاوته، ثمَّ انصرفا في ساعة واحدة، أيُّهما أفضل ؟ قال: **كلٌّ فيه فضل، وكلٌّ حسن**. فقلت: إنِّي قد علمت أنَّ كلًّا حسن، وأنَّ كلًّا فيه فضل، لكن أيُّهما أفضل؟ فقال: **الدعا أفضل، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، هي والله العبادة، هي والله أفضل، هي والله أفضل، أليست هي العبادة؟ هي والله العبادة، هي والله العبادة، أليست هي أشدهنَّ؟ هي والله أشدهنَّ، هي والله أشدهنَّ، هي والله أشدهنَّ**»[5].

(١) غافر: ٦٠.
(٢) التوبة: ١١٤.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٦٦.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ (٦٧٦هـ): ٢٢٣١، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف:=

(الباب الثاني في أسباب الإجابة)[1]

وينقسم إلى سبعة أقسام؛ لأنَّها إمَّا أن ترجع إلى نفس الدعاء، أو إلى زمان الدعاء، أو إلى مكانه، أو الحالات، وهي قسمان: حالات الداعي، وحالات يقع فيها الدعاء، فهذه خمسة أقسام، وما يتركَّب من المكان والدعاء، وما يتركَّب من الزمان والدعاء، صارت سبعة أقسام:

القسم الأوَّل: خاص بالوقت

في بيان فضيلة يوم الجمعة وليلها[2]: بعد عرض الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله، والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، قال: وعن الصادق عليه السلام: «في قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]، قال عليه السلام: **أخَّرهم إلى السَّحر من ليلة الجمعة**»[4]، فقد استنبط الوقت المفضَّل للاستجابة في ورود الآية ضمن هذا الحديث.

وتحت هذا العنوان، قال معقِّبًا: «**نصيحة**: ينبغي لذي الإيمان الصريح والاعتقاد الصحيح في تصديق الرسول، وأبناء الزَّهراء البتول، فيما يخبرون به من معالم التنزيل، ويؤيِّدونه عن الربِّ الجليل، أن يبعث في تلك الساعات مع ذلك المنادي حوائجه في جواب ندائه، كما لو وقف على بابه رسول ملك من ملوك الدنيا، واستعرض حوائجه، وقال: إنَّ الملك قد أذِن لي في إعلامك برفع حوائجك إليه ليقضيها لك، فإنه يغتنم ذلك الاستعراض، ويذكر ما أهمَّه من الحوائج والأغراض، ولا يبقي له حاجة ولا لأهل

=ناصر مكارم شيرازي، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم. تهذيب الأحكام: ٢/ ١٠٤.

(١) عدَّة الداعي: ٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يوسف: ٩٨.

(٤) الكافي: ٢/ ٤٧٧.

عناية إلَّا ذكرها على التفصيل، خصوصًا إذا كان ذلك الملك موصوفًا بالعطاء الجزيل، ومعروفًا بالفعل الجميل، ولا يعرض عن منادي الملك مع حاجته إلى مرسله، وينفصل عنه بغير جواب، ويضيع المقصود من هذا الخطاب أعراض المتهاونين، فيستحقُّ سَخَط الملك، ويبوء بجواب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أو إعراض الغافلين، فيقع في عساكر المحرومين، ويبوء بثقله وما وزر، وما ورد: ومن ترك مسألة الله افتقر»[1].

القسم الثالث: الاسم الأعظم[2]

«ما يرجع إلى الدعاء من أسباب الإجابة، وهو ما كان متضمِّنًا للاسم الأعظم، سواء علم بشخصه أم لم يعلم. ولا يعلم بعينه إلَّا من أطلعه الله تعالى عليه من أنبيائه وأوليائه عليهم السلام، وقد ورد تلويحات عليه، وإشارات إليه، مثل ما روى: في آخر الحشر، وما روى: من أنَّه في آية الكرسي، وأوَّل آل عمران، فقيل: يكون في الحيِّ القيُّوم؛ لأنَّه الجامع بينهما، والموجود فيهما. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها**»[3]. وقيل: هو في قولنا: يا حيُّ يا قيُّوم، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام. وقيل: في قولنا: «يا هو، يا من لا هو إلَّا هو»[4].

في أنَّ لفظ الجلالة هو اسم الأعظم، وفيه قصَّة آصف[5].

وقيل هو الله، وهو أشهر أسماء الربِّ، وأعلاها محلًّا في الذِّكر، والدعاء، وجُعل

(١) عدَّة الداعي: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩.

(٣) الأمالي، الصدوق: ٧٤٠، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

(٤) عدَّة الداعي: ٤٩.

(٥) ظ: المصدر نفسه: ٥٠.

أمام سائر الأسماء، وخصَّت به كلمة الإخلاص، ووقعت به الشهادة. واعلم أنَّ هذا القول قريب جدًّا؛ لأنَّ الوارد في هذا المعنى كثير.

يبدأ بذِكر خواصِّ الاسم الأعظم، فيقول: ثمَّ اعلم أنَّ هذا الاسم المقدَّس قد امتاز عن ساير الأسماء بخواص:

الأولى: إنَّه علم على الذات المقدَّسة، يختصُّ بها، فلا يُطلق بها على غيره تعالى، حقيقة ولا مجازًا، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1]، أي هل تعلم أحدًا يسمَّى الله غيره.

الثانية: أنَّه دالٌّ على الذات، وباقي الأسماء لا يدلُّ آحادها إلَّا على آحاد المعاني، كالقادر على القدرة، والعالم على العلم، وغير ذلك.

الثالثة: أنَّ جميع الأسماء يتسمَّى بذلك الاسم المقدس، ولا يتسمَّى هو بها، فيُقال: الصبور اسم من أسماء الله، ولا يُقال: الله اسم من أسماء الصبور أو الرحيم أو الشكور، وتقدَّم ستَّة، فصار امتيازه بتسعة أشياء. روي أنَّ سليمان عليه السلام لـمَّا علم بقدوم بلقيس، وقد بقي بينها فرسخ، قال: أيُّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ قال عفريت من الجنِّ، أي مارد قويّ داهية: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، وكان يجلس غدوة إلى نصف النهار، وأنِّي على حمله لقوي، وعلى ما فيه من الذهب أمين. فقال سليمان: أريد أسرع من هذا، قال الذي عند علم من الكتاب، وهو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان وابن أخته، وكان صدِّيقًا يعرف الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب: انا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك. قيل: معناه أن يصل إليك مَن كان منك على قدر مدِّ البصر، وقيل: ارتداد إدامة النظر حتَّى يرتد طرفه خائسًا، فعلى هذا يكون معناه: أنَّ سليمان مدَّ بصره إلى أقصاه، ويديم النظر، فقبل أن ينقلب إليه

(١) مريم: ٦٥.

بصره حسيرًا، يكون قد أتى بالعرش، قال الكلبيّ: «فخرَّ آصف ساجدًا ودعا باسم الله الأعظم، فغار عرشها تحت الأرض حتَّى نبع عند كرسي سليمان، وقيل: انخرق مكانه حيث هو، ونبع بين يدي سليمان عليه السلام، وقيل: إنَّ الأرض طُويَت له، وهو مرويٌّ عن أبي عبد الله عليه السلام، فقيل: إنَّ ذلك الاسم هو الله، والذي يليه الرحمن. وقيل: هو يا حيُّ يا قيُّوم بالعبرانيَّة: آهيا شراهيا، وقيل: هو يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: يا إلهنا وإله كلِّ شيء، إلـهًا واحدًا، لا إله إلَّا أنت»[1].

القسم السادس: ما يرجع إلى الفعل، كأعقاب الصلاة[2]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من أدَّى لله مكتوبة، فله في أثرها دعوة مستجابة**. فقال: في إجابة دعاء السائل في المتصدق، وأنَّه تعالى يأخذ الصدقات[3]: «كان زين العابدين عليه السلام يقول للخادم: «**أمسك قليلًا حتَّى يدعو**»[4]. وقال عليه السلام: «**دعوة السائل الفقير لا تردُّ**»[5]، وكان عليه السلام: «يأمر الخادم إذا أعطيت السائل أن تأمره أن يدعو بالخير»[6]، وعن أحدهما عليهما السلام: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعا، فإنه يستجاب لهم فيكم ولا يستجاب لهم في أنفسهم»[7]، «وكان زين العابدين عليه السلام يقبِّل يده عند الصدقة وسُئل

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ): ٢٧٠، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، السيِّد محمود الزرنديّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان. مجمع البيان: ٧/ ٣٨٦، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصائيِّين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٢) عدَّة الداعي: ٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ٦٠.

(٤) المقنع، الصدوق (٣٨١هـ): ١٧٤-١٧٥، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ، مطبعة اعتماد. ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

(٥) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

(٦) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

(٧) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

في ذلك فقال عليه السلام: **إنَّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل**»[1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا ناولتم السائل، فليردَّ الذي يناوله يده إلى فيه فيقبِّلها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يأخذها قبل أن تقع في يد السائل، فإنَّه عزَّ وجلَّ يأخذ الصدقات**»[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتَّى تقع في يد الله تعالى**، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]..»[4]..[5].

وتحت عنوان **تتمَّة**:

قسَّم الصدقة على خمسة أقسام:

ففي القسم الخامس، صدقة العلم: وهي بذله لأهله، ونشره على مستحقِّه. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**من الصدقة أن يتعلَّم الرجل العلم ويعلِّمه الناس**»[6]. وقال صلى الله عليه وآله: «**زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه**»[7]. وعن الصادق عليه السلام: «**لكلِّ شيء زكاة، وزكاة العلم أن يعلِّمه أهله**»[8].

(١) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.
(٢) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.
(٣) التوبة: ١٠٤.
(٤) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.
(٥) ظ: عدَّة الداعي: ٦٠.
(٦) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٤٦٣هـ): ١/ ١٢٣، مطبعة بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٣٩٨هـ.
(٧) جامع البيان، ابن جرير الطبريّ (٣١٠هـ): ١١/ ٢٨، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، تفسير ابن زمنين، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ): ١/ ٢٦٥، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمَّد بن مصطفى الكنز، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مطبعة مصر، القاهرة.
(٨) تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ (ق ٤هـ): ٣٦٤، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر=

ومحلُّ الشاهد هو في بيان فضيلة العلم وتبعيَّة العمل له والعالم غير العامل[1].

روى صاحب كتاب منتقى اليواقيت (مناقب) فيه مرفوعًا إلى محمَّد بن عليّ بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: «حدَّثني الرِّضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه محمَّد عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة، فاطلبوا العلم من مظانِّه، واقتبسوه من أهله، فإنَّ تعليمه لله سبحانه حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تبارك وتعالى؛ لأنَّه من معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنَّة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرَّاء والضرَّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلَّاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة يقتبس آثارهم، ويهتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلَّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتهم تبارك عليهم، ويستغفر لهم كلُّ رطب ويابس حتَّى حيتان البحر وهوامه، وسباع البرِّ وأنعامه، وأنَّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوَّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والفكرة فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، وبه يُطاع الربُّ عزَّ وجلَّ ويُعبد، وبه توصَل الأرحام، ويُعرف الحلال والحرام، والعلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لا يحرمه الله منه حظه**»[2].

=الغفاريّ، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

(١) عدَّة الداعي: ٦٣.

(٢) الأمالي، الطوسيّ: ٤٨٨، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، ١٤١٤هـ،=

تنبيه: يبدأ بتحليل رواية الرسول صلى الله عليه وآله:

انظر رحمكَ الله إلى قوله صلى الله عليه وآله: «**العمل تابعه كيف جعلهما قرينَين مقترنين، وأنَّه لا نفع لأحدهما بدون صاحبه، وأنَّه لا بدَّ للعالم من العمل، وليس العلم وحده بمنج لصاحبه**»(١).

وصرح بذلك في قوله عليه السلام: «**من ازداد علما ولم يزدد من الله إلَّا بعدا. والعلم بغير علم لا ينتفع به** لقوله صلى الله عليه وآله: **والعامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، لا يزيده سرعة السير من الطريق إلَّا بعدًا**. فكان العلم والعمل قرينَين مقترنَين لا قوام لأحدهما إلَّا بالآخر، وهذان الجوهران، أعني العلم والعمل، لأجلهما كان كلُّ ما تراه من تصنيف المصنِّفين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين، بل لأجلهما أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما بينهما من الخلق، وتأمَّل آيتين من كتاب الله تعالى تدلَّانك على ذلك، أحديهما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾(٢)، وكفى بهذه الآية دليلًا على شرف العلم، لاسيما على التوحيد.

والثانية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٣)، وكفى بهذه الآية دليلًا على شرف العبادة، فحقُّ العبدان لا يشتغل إلَّا بهما، ولا يتعب إلَّا لهما، ولا ينظر إلَّا فيهما، وما سواهما باطل لا خير فيه، ولغو لا حاصل له، وإذا علمت ذلك فاعلم

=دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، والنص هو (١٠٦٩/ ٣٨)، وظ: مجمع البيان، الطبرسي: ١/ ٣٢، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصائيِّين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(١) الخصال، الصدوق: ٤، تحف العقول: ٤١، جامع البيان، الطبريّ: ٢٨/ ٢٦.

(٢) الطلاق: ١٢.

(٣) الذاريات: ٥٦.

أنَّ العلـم أشرف الجوهرَيـن وأفضلهما. قـال النبيّ صلى الله عليه وآله: «فضل العلـم أحبُّ إلى الله من فضـل العبادة»(١). وقال صلى الله عليه وآله: «فضـل العالم على العابد كفضل القمر على سـائر النجوم ليلة البدر»(٢).

وقـال صلى الله عليه وآله: «يا عليّ نوم العالم أفضـل من عبادة العابد، يا عليّ ركعَتين يصلِّيهما العالم أفضل من سـبعين ركعة يصلِّيها العابد»(٣). وقال صلى الله عليه وآله: «يا عليّ سـاعة العالم يتّكئ على فراشـه ينظر في علم، خير من عبادة سبعين سـنة، وجعل النظر إلى وجه العالم عبادة، بل وإلى باب العالم عبادة»(٤).

وعـن عليّ عليه السلام: «جلوس سـاعة عنـد العلماء أحـبُّ إلى الله من عبادة ألف سـنة، والنظـر إلى العـالم أحـبُّ إلى الله من اعتكاف سـنة في بيت الحرام، وزيـارة العلماء أحبُّ إلى الله تعـالى مـن سـبعين طوافًـا حـول البيـت، وأفضـل مـن سـبعين حجَّـة وعمرة مـبرورة مقبولـة، ورفـع الله تعالى له سـبعين درجة، وأنـزل الله عليه الرحمة، وشـهدت لـه الملائكـة أنَّ الجنَّة وجبـت له. لكن لا بدَّ للعالم مـن العبادة مع العلـم، وإلَّا كان هباءً منثـورًا، فإنَّ العلم بمنزلة الشـجرة، والعبادة بمنزلة الثمرة، فالشرف للشـجرة، إذ هي الأصـل، لكن الانتفـاع بثمرتها، ولو لم يكن لهـا ثمرة، لم يكن لهـا شرف، ولم يصلح إلَّا للوقود»(٥).

(١) الخصال الصدوق: ٤، تحف العقول: ٤١، جامع البيان: ٢٨/ ٢٦.
(٢) الكافي: ١/ ٣٤، الأمالي، الصدوق: ١١٦، تحرير الأحكام، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ): ١/ ٣٥، تحقيق: الشـيخ إبراهيم البهاديّ، إشراف: جعفر السبحانيّ، ط١، ١٤٢٠هـ، مطبعةاعتماد، قم، نشر مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام
(٣) تحرير الأحكام، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ٣٢.
(٤) إرشـاد الأذهان، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ١٧٥، قواعد الأحـكام، العلَّامة الحِلِّيّ: ٣/ ٧١٦، ٩٤، مختلف الشيعة، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ١٥٢.
(٥) بحار الأنوار: ١/ ٢٠٥.

فيعقب على ذلك، فيقول: «فإذًا لا بدَّ للعبد منهما جميعًا، لكن العلم أولى بالتقديم؛ لشرفه ولكونه أصلًا، ولقوله عليه السلام: «**والعلم أمام العمل والعمل تابعه**»، وإنَّما صار العلم أصلًا متبوعًا يلزمك تقديمه لأمرين؛ **أحدهما**: أن تعرف معبودك ثمَّ تعبده، وكيف تعبد من لا تعرفه؟ وهذا يُستفاد من الأدلَّة العقليَّة.

الثاني: أن تعرف ما يلزمك من العبادات الشرعيَّة، وكيفيَّة إيقاعها؛ لئلَّا يقع شيء من هذه في غير محلِّه، أو يخلّ بشرطه فلا تقبل، وهذا يستفاد من الأدلَّة السمعيَّة، وسُئِل بعض العلماء: أيُّما أفضل العلم أو العمل؟ فقال: العلم لمن جهل، والعمل للعالم. وقد عرفت أنَّ العلم لا ينتفع به صاحبه في الآخرة، إذا لم يعمل به، فيكون هباء بل وبالا. ثمَّ يؤيِّد قوله بحديث الرسول صلى الله عليه وآله، فيقول: ألا تسمع إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وإنَّ أشدَّ أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدًا إلى الله فاستجاب له وقبل منه، فأطاع الله فادخله الجنة، وادخل الداعي النار بتركه عمله وإتِّباعه الهوى**»[1]، ورواية هشام، فيقول: وروى هشام بن سعيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[2]، قال عليه السلام: **الغاوون هم الذين عرفوا الحق وعملوا بخلافه**»[3]. وقال عليه السلام: «**أشدُّ الناس عذابًا عالم لا ينتفع من عمله بشيء**»[4]. وقال عليه السلام: **تعلموا ما شئتم أن تعملوا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به لان العلماء همتهم الرعاية، والسفهاء همتهم**.. الرواية. واعلم أنَّ العلم ممدوح فيما رأيت من الكتاب والسنَّة، مثل قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ

(١) إرشاد الأذهان، العلَّامة: ١/ ١٥، تحرير الأحكام، العلَّامة: ١/ ٣٧، الكلينيّ: ١/ ٤٤، الخصال، الصدوق: ٥١.
(٢) الشعراء: ٩٤.
(٣) التبيان، الطوسيّ: ٩/ ٢٩٤.
(٤) الكافي: ٢/ ٣٠٠، روضة الواعظين، الفتَّال: ١٠.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[2]..[3].

وقول الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد، ووضعت الموازين، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء**»[4]. قال بعض العلماء: «والسرُّ فيه أنَّ دم الشهيد لا ينتفع به بعد موته، ومداد العالم ينتفع به بعد موته»، ومثله قوله صلى الله عليه وآله: «**إذا ماتَ المؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة سترًا بينه وبين النار، وأعطاه الله بكلِّ حرفٍ عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرَّات**»[5]، ليس هو عبارة عن استحضار المسائل وتقرير البحوث والدلائل، بل هو ما زاد في خوف العبد من الله تعالى، ونشطه في عمل الآخرة، وزهده في الدنيا. وقال العالم: «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلَّا به، وأوجب العلم عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلَّك على صلاح قبلك، وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زادك في عملك العاجل، فلا تشغلنَّ بعلمٍ ما لا يضرُّك جهله، ولا تغفلنَّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه. ثمَّ انظر إلى الآيات الواردات بمدح العلم، تجدها

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ): ٢٠، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، ط٤، ١٣٩٧، المكتب الإسلاميّ، بيروت، مع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٤٦٣هـ): ٢/ ٦، ١٣٩٨، بيروت، دار الكتب العلميَّة، الكامل، ابن عدي: ٢/ ٢٦.

(٤) تحرير الأحكام، العلَّامة: ١/ ٣٢، الأمالي، الصدوق: ٢٣٣، مَن لايحضره الفقيه، الصدوق: ٤/ ٣٩٩، روضة الواعظين، الفتَّال: ٩، الأمالي، الطوسيّ: ٥٢١.

(٥) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢٧٥، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٧هـ، مطبعة أمير، قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الأمالي: ٩١، روضة الواعظين: ٨.

واصفات للعلماء بما ذكرناه قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]، فوصفهم بالخشية، وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، فوصفهم بإحياء الليل بالقيام ومواصلة الركوع والسجود والخوف والرجا، وقال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3]، والقسيس: العالم، فوصفهم بترك الاستكبار. وقال الصادق عليه السلام: «**الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالما وان شق الشعر بمتشابهات العلم كما قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾**[4]»..»[5].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لا تجلسوا عند كلّ داعٍ مدَّعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشكّ، ومن الإخلاص إلى الريا، ومن التواضع إلى التكبُّر، ومن النصيحة إلى العداوة، ومن الزُّهد إلى الرغبة، وتقرَّبوا من عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع، ومن الريا إلى الإخلاص، ومن الشكِّ إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزُّهد، ومن العداوة إلى النصيحة**»[6]. وقال عيسى عليه السلام: «**أشقى الناس من هو معروفٌ عند الناس بعلمه، مجهولٌ بعمله**»[7]،

(١) فاطر: ٢٨.
(٢) الزمر: ٩.
(٣) المائدة: ٨٢.
(٤) فاطر: ٢٨.
(٥) عدّة الداعي: ٦٩-٦٣.
(٦) الاختصاص، المفيد: ٣٣٥، تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ): ٢/ ١٩١، ط٣.
(٧) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام (١٤٨هـ): ٢١، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، مؤسَّسة=

وعنه عليه السلام قال: «**رأيت حجرًا مكتوبًا عليه اقلبني فقلبته، فإذا عليه من باطنه مَن لا يعمل بما يعلم، مشوم عليه طلب ما لا يعلم، ومردود عليه ما علم**»(١). وأوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام: «**إنَّ أهون ما أنا صانع بعبدٍ غير عامل بعلمه من سبعين، عقوبة باطنيَّة أن أُخرج من قلبه حلاوة ذِكري**»(٢).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**العلم الذي لا يُعمَل به كالكنز الذي لا يُنفَق منه، أتعب صاحبه نفسه في جمعه، ولم يصل إلى نفعه**»(٣). وعن عليّ عليه السلام: «**العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلَّا ارتحل**»(٤).

وعن الصادق عليه السلام: «قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: **يعني من يصدق قوله فعله، ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم**»(٥)، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قُل للذين يتفقَّهون لغير الدين، ويتعلَّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب،**

=الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان.

(١) إرشاد الاذهان: ١/ ١٦، مصباح الشريعة: ١٦.

(٢) وجدته في يكتاب: إرشاد الأذهان، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ فارس حسون، ط١، ١٤١٠هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرَّفة: ١/ ١٧.

(٣) وجدته في بكتاب: إرشاد الأذهان: ١/ ١٥.

(٤) وجدته بهذا الإسناد عند الكافي: ١/ ٤٤، حمد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، و العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلَّا ارتحل عنه**». تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، ١٣٦٣ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، وظ: إرشاد الأذهان: ١/ ١٦، وظ: مشكاة الأنوار: ٢٣٤، عليّ الطبرسيّ، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة دار الحديث.

(٥) ظ: المصدر نفسه: ٢٣٥.

ألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم أمرُّ من الصبر: أيخادعون؟ ولأتيحن لكم فتنة تذر الحكيم حيرانًا»[1]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَثَل الذي يعلم ولا يعمل به، مَثَل السراج يضيء للناس، ويحترق نفسه**»[2]..»[3].

فصل: في بيان فضيلة الكسب وآدابه[4]

وإذا عرفت نفاسة هذَين الجوهرَين فاعلم أنَّ ما سواهما باطل لا خير فيه، ولغو لا حاصل له؛ لأنَّ ما سواهما إمَّا ما لا بدَّ منه، كالقوت، أو فضلًا عن ذلك تحت النقطة.

الثالث: قال «الثالث: أن يترك الحرص، فإنَّ الحرص مذموم يجمع بصاحبه إلى الشبهة، وربَّما أوقعه في الحرام، والرزق مقسوم لا يزيده قيام حريص، ولا ينقصه قعود مجمل. فعنهم عليهم السلام: «**مَن لم يعطِ قاعدًا، لم يعطَ قائمًا**»[5].

(١) ظ: وجدته في كتاب جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ): ١/ ١٨٩، ١٣٩٨هـ، مطبعة بيروت، دار الكتب العلميَّة، بهذا النصِّ: «حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن هشام قال حدَّثنا عليّ ابن عمر بن موسى قال حدَّثنا الحسن بن عبد الله أبو أحمد قال حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال حدَّثنا يحيى بن المغيرة المخزومي قال حدَّثني أخي عن أبيه عن عثمان بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن أبي إدريس الخولانيّ، عن أبي الدرداء، قال قال رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: **أنزل الله في بعض الكتب، أو أوحى إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقَّهون لغير الدين، ويتعلَّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، وألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، إيَّاي يخادعون، وبي يستهزؤن، لأتيحنَّ لهم فتنة تذَرُ الحليم فيهم حيرانًا**».

(٢) المصنَّف، ابن ابي شيبة: ٨/ ٢٥٠، مجمع الزوائد، الهيثمي (٨٠٧هـ): ١/ ١٨٥، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

(٣) عدَّة الداعي: ٧٠.

(٤) عدَّة الداعي: ٧٢.

(٥) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٤/ ٩٤، تحقيق وشرح: الشيخ محمَّد عبده، ط١،=

وقال ﷺ في حجَّة الوداع: «أيُّها الناس ما أعلِّم عملًا يقرِّبكم إلى الجنَّة، ويباعدكم من النار إلَّا وقد نبَّأتكم به، وحثثتكم على العمل به، وما من عمل يقرِّبكم من النار، ويباعدكم من الجنَّة إلَّا وقد حذَّرتكموه ونهيتكم عنه، ألا وأنَّ روح الأمين نفث في روعي أنَّه لا تموت نفسٌ حتَّى تستكمل رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، إنَّ الله قسَّم الأرزاق بين خلقه حلالًا، ولم يقسِّم حرامًا، فمن اتَّقى وصبر أتاه رزق الله، ومن هتك حجاب السِّتر وعجَّل فأخذه من غير حلِّه، قوصِص به من رزقه الحلال، وحُوسِب به يوم القيامة»[1].

وقال ﷺ لبعض أصحابه: «كيف بك إذا بقيت في قومٍ يخبِّئون رزق سنتهم، ويضعف اليقين؟ فإذا أصبحت فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدِّث نفسك بالصباح، فإنَّك لا تدري ما اسمك غدًا. ثمَّ اعمل فيما يحصل لك من الكسب على قانون السنَّة والكتاب، وإيَّاك والتبذير، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ

=١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة، قم، دار الذخائر، قم، ايران، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ): ١٩/ ٣٦٣، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

(١) الكافي: ٥/ ٨٠، وظ: تهذب الأحكام: ٦/ ٣٢١، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسوي الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، وظ: تذكرة الفقهاء، العلَّامة: ١٢/ ١٢٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، صفر ١٤٢٢هـ، مطبعة ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، وظ: الدروس، الشهد الأوَّل: ٣/ ١٥٩، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ربيع الثاني ١٤١٤هـ، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، وظ: مجمع الزوائد، الهثميّ: ٤/ ٧١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، وظ: تهذيب الكمال، المزيّ: ١٣/ ٣٣٧، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾[1]..»[2]. وقال رسول الله ﷺ: «**من بذَّر أفقره الله**»[3]. وقال ﷺ: «**ما عالَ من اقتصد**»[4]! وتجب البدأة في الإنفاق بالنفس، وليجتنب التملِّي، فإنَّه يروى عنه ﷺ أنَّه قال: «**حَسبَ ابن آدم لُقيمات يُقمنَ صُلبه، فإن كان ولا بدَّ، فليكن الثلث، والثلث للشَّراب، والثلث الآخر للنفس**»[5]. وقال عليه السلام: «**أكثر الناس شبعًا أطولهم**

(١) الإسراء: ٢٧.

(٢) عدَّة الداعي: ٧٤.

(٣) مسند أحمد: ١/ ٤٤٧، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٢، تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ): ٣/ ٤١، تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٤) مسند أحمد: ١/ ٤٤٧، دار صادر، بيروت، لبنان، وظ: مجمع الزوائد، الهيثميّ: ١٠/ ٢٥٢، وظ: مصنَّف بن أبي شيبة: ٦/ ٢٥٢، ابن أبي شيبة الكوفيّ (٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، جمادى الآخرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: المعجم الوسيط، الطبرانيّ (٣٦٠هـ): ٥/ ٢٠٦، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، المعجم الكبير: ١٠/ ١٠٩، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، مزيدة ومنقَّحَة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربيّ، وظ: مسند الشهاب، ابن سلَّامة (٤٥٤هـ): ٢/ ٥، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، وظ: الاستذكار، ابن عبد البرّ (٤٦٣هـ): ٨/ ٤٥٢، تحقيق: سالم محمَّد عطا، محمَّد عليّ معوَّض، ط١، ٢٠٠٠م، وظ: تفسير الثعلبيّ (٤٢٧هـ): ٩٣، تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربيّ، دار الكتب العلميَّة، لبنان، وظ: تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ): ٣/ ٤١، وظ: الكتاب: الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ): ٣/ ٤٦٢، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزَّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: ميزان الاعتدال، الذهبيّ (٧٤٨هـ): ٢/ ١٧٤، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، وظ: لسان الميزان، ابن حجر (٨٥٢هـ): ٤/ ٤٧، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٥) فتح الباري، ابن حجر (٨٥٢هـ): ٩/ ٤٦١، وظ: ١٠/ ١٠٨، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

جوعا يوم القيامة»[1]..»[2]

في بيان فضيلة إكرام الوالدين[3]

فصل: في أنَّ من سعادة الرجل كونه صاحب ولد صالح[4].

قال رسول الله ﷺ: «من سعادة الرجل الولد الصالح»[5]. وقال ﷺ: «الولد للوالد

(١) مسند زيد بن عليّ (١٢٢هـ): ٤٨٠، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، وظ: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ (٥٠٨هـ): ٤٥٦، تحقيق: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، وظ: مكارم الأخلاق، الطبرسيّ (٥٤٨هـ): ١٤٩، ط٦، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضيّ، وظ: سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ): ٢/ ١١١٢، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وظ: سنن الترمذيّ (٢٧٩هـ): ٤/ ٦٣، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: مجمع الزوائد، الهيثميّ: ٥/ ٣١، وظ: فتح الباري، ابن حجر: ١١/ ٢٣٦، وظ: عمدة القاري، العينيّ (٨٥٥هـ): ١١/ ٥٣، مطبعة بيروت، دار إحياء التراث العربي، المعجم الوسيط، الطبرانيّ: ٨/ ٣٧٨، وظ: الاستيعاب، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ): ١/ ١٧، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ط١، ١٤١٢هـ، مطبعة بيروت، دار الجيل، وظ: ضعفاء، العقيليّ (٣٢٢هـ): ٣/ ٣٦٠، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، وظ: الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ): ٧/ ٧٥، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزَّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: سير أعلام النبلاء، الذهبيّ (٧٤٨هـ): ٣/ ١٢٣، تحقيق وإشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغرجي، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، وظ: ميزان الاعتدال، الذهبيّ: ٤/ ٣٤٣، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، وظ: لسان الميزان، ابن حجر: ٦/ ٢٢٤، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٢) عدَّة الداعي: ٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ٧٦.

(٥) الكافي، الكلينيّ: ٦/ ٣.

ريحانة من الله قسمها بين عباده، وإنَّ ريحانتَيَّ الحسن والحسين عليهما السلام سمَّيتهما باسم سبطَي بني إسرائيل شبَّرًا وشُبيرًا»[1].

وروى الفضل بن أبي قرَّة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرَّ عيسى ابن مريم عليه السلام بقبرٍ يعذَّب صاحبه، ثمَّ مرَّ به من قابل، فإذا هو لا يعذَّب فقال: يا ربِّ مررت بهذا القبر عام أوَّل وكان يعذَّب، ومررت به العام فإذا هو ليس يعذَّب، فأوحى الله إليه: إنَّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقًا، وآوى يتيمًا، فلهذا غفرت له بما عمل ابنه، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ميراث الله عزَّ وجلَّ من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده. ثمَّ تلا أبو عبد الله عليه السلام، آية زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2].. [3].

وإذًا قد عرفت ما يجب على المكتسب، وصاحب العيال من الاقتصار في الاكتساب، والإخراج، وهذا هو القانون الكلِّيّ الذي أمر به الشرع على العموم. روى عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنِّي أركب في الحاجة التي كفاها الله، ما أركب فيها إلَّا التماس أن يراني الله أضحى في طلب الحلال، أمَّا تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، أرأيت لو أنَّ رجلًا دخل بيتًا وطيَّن عليه بابه، ثمَّ قال: رزقي ينزل على (من السماء)، كان يكون هذا أما أنَّه أحد الثلاثة الذين لا يُستجاب لهم دعوة. قال: قلت: مَن هؤلاء ؟ فقال عليه السلام: رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يُستجاب له؛ لأنَّ عصمتها في يده، لو شاء أن يخلي سبيلها، والرجل يكون له الحقُّ على الرجل، فلا يشهد عليه فيجحده حقَّه، فيدعو

(١) الكافي، الكلينيّ: ٦/ ٢.
(٢) آل عمران: ٣٨.
(٣) الكافي، الكلينيّ: ٦/ ٤.
(٤) الجمعة: ١٠.

عليه فلا يُستجاب له؛ لأنَّه ترك ما أمر بـه، والرجل يكون عند الشيء فيجلس في البيت فـلا ينتـشر، ولا يطلب، ولا يلتمـس حتَّى يأكله، ثمَّ يدعو فلا يُستجاب لـه»[1]. فهذا التكليف العام للجمهور من الخلائق.

ثمَّ يبيِّن خطاب التكليف الخاصِّ، فيقول:

في بيان أوصاف الخواص ووظائفهم[2]

وأمَّـا الخواصُّ فمنهم من تعبَّد بالاكتسـاب، ومنهم المتـوكِّل، وهو درجة عظيمة، وصفة من صفات الصدِّيقين، ومن وصل إليها بطل عنه قيد الاهتمام، وانحلَّ عنه زمام الطلب، واضمحلَّ عنه داعية الاكتسـاب، وتقشَّعت عنه سحائب الغمِّ، وسحَّت عليه مُزَن الأمن، وجلس على موائد الرِّضا، وارتوى من حياض الطمأنينة. قال الله تعالى عزَّ ذِكره: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[3]، وقـال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[4].

وعـن أبي عبـد الله عليه السلام في حديـثٍ مرفـوعٍ إلى النبـيّ صلى الله عليه وآله، قال: «جـاء جبرائيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسـول الله إنَّ الله أرسـلني بهديَّة لم يُعطِها أحد قبلك، فقال رسـول الله صلى الله عليه وآله: فقلت وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: القناعة وأحسن منهـا، قلت: ومـا هو؟ قال: الرضا وأحسـن منه، قلت: وما هو؟ قال: الزُّهد وأحسـن منه، قلت: وما هو؟ قال: الإخلاص وأحسـن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين وأحسن منـه، قلـت: وما هو ؟ قـال: إنَّ مدرجة ذلـك كلُّه التـوكُّل على الله، قلت: يـا جبرائيل

(١) مجمع البيان، الطبرسيّ: ١٠/ ١٤، وظ: فقه القرآن، القطب الراونديّ: ١/ ١٣٧.
(٢) عدَّة الداعي: ٨٢.
(٣) الطلاق: ٣.
(٤) آل عمران: ١٧٣.

وما تفسير التوكُّل على الله؟ قال: العلم بأنَّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يُعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من المخلوق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يزغ قلبه، ولم يخف سوى الله، ولم يطمع إلى أحد سوى الله، فهذا هو التوكُّل. قال: قلت: يا جبرائيل فما تفسير الصبر؟ قال: يصبر في الضرَّاء كما يصبر في السرَّاء، وفي الفاقة كما يصبر في الغنى، وفي الغنى كما يصبر في العافية، ولا يشكو خالقه عند المخلوق بما يصيبه من البلاء، قلت: فما تفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر باليسير، قلت: فما تفسير الرضا؟ الراضي الذي لا يسخط على سيِّده، أصاب من الدنيا أم لم يصب، ولم يرضَ من نفسه باليسير من العمل، قلت: يا جبرائيل فما تفسير الزُّهد؟ قال: الزَّاهد يحبُّ ما من يحبُّ خالقه، ويبغض ما من يبغض خالقه، ويتحرَّج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها، فإنَّ حلالها حساب، وحرامها عقاب، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرَّج من كثرة الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام، ويتحرَّج من كثرة الأكل كما يتحرَّج من الميتة التي قد اشتدَّ نتنها، ويتحرَّج من حطام الدنيا وزينتها كما يتجنَّب النار أن يغشاها، وأن يقصر آماله وكأنَّ بين عينيه أجله. قلت: يا جبرائيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: الخلص الذي لا يسأل الناس شيئًا حتَّى يجد، وإذا وجد رضي، وإذا بقي عنده شيء أعطاه لله، فإن لم يسأل المخلوق، فقد أقرَّ الله بالعبوديَّة، وإذا وجد فرضي فهو عن الله راضٍ، والله تبارك وتعالى عنه راضٍ، وإذا أعطاه الله فهو جدير به، قلت فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن الذي يعمل لله كأنَّه يراه، وإن لم يكن يرى الله فإنَّ الله يراه، وأن يعلم يقينًا أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطئه لم يكن ليصيبه، وهذا كلُّه أعضان التوكُّل، ومدرجة الزهد»[1].

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ): ٢٦١، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة

فبدأ بتحليل الحديث القدسيّ[1]، فقال: «فانظر رحمك الله إلى حسن هذا الحديث، وما دلَّ عليه من الفوائد، وقد ذكر أنَّ الصبر والقناعة والرضا والزهد والإخلاص واليقين أمور منشعبة عن التوكُّل، وكفى بهذا مدحًا للتوكُّل، ثمَّ ذكر في حدِّ التوكُّل بأنَّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الناس، فهذه خمس دعائم للتوكُّل، أربعة علميَّة وواحدة عمليَّة، ولأقوام للأربعة بدون الخامس بل هو ملاكها، وعنده تظهر ثمرتها وتحمد جناها، ومن هذا يعلم أنَّه لأقوام للعلم بدون العمل، وأنَّه لا يزكو ولا ينتفع به صاحبه ما لم يعمل به، وهذا ظاهر، فإنَّ من اشتكى وجع ضرسه، وهو يعلم أنَّ الحامض يضرُّه، ثمَّ أكل حامضًا، فإنَّه يوجعه ضرسه قطعًا، ولم يكن علمه بذلك نافعًا له، حيث ترك العمل به»[2].

ثمَّ توصَّل إلى نتيجة، فقال: «ثمَّ انظر إلى النتيجة الحاصلة من الدعائم، في قوله ﷺ: «**فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يزغ قلبه**»..الخ، وهو ثلاثة أمور:

الأوَّل: الإخلاص؛ لأنَّه إذا تحقَّق كون المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، لم يعمل له، ولم يطلب المنزلة في قلبه، فانحسم عنه داعية الرِّيا، فلم يزغ قلبه، وبقي مستقيمًا بإخلاصه وإيقاعه لعبادته على وجهها اللائق بها.

الثاني: العزَّة بتمام الغنى عن الناس في قطع الطمع منهم؛ لأنَّ من تحقَّق أن لا مُعطي من الخلق لم يرجُه، واعتمد برجائه على ربِّه؛ لأنَّه المعطي لا غيره.

الثالث: نيل الأمن وعدم الخوف من سائر المخلوقات، وعامَّة المؤذيات، ولهذا كان المخلصون والعباد والسيَّاح يمرُّون على السباع غير مكترثين بها، فإنَّ

(١) عدَّة الداعي: ٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ٨٥.

مـن تيقَّـن أنَّ المخلـوق لا يـضرُّ، لم يخـف منـه، وكان اعتقـاده في السـبع كاعتقاده في البقية»[1].

ثـمَّ عضد تحليلـه للنصـوص برواية، فقـال: «وحدَّث أبـو حازم عبـد الغفار بن الحسـن قال: «قدم إبراهيم بن أدهم الكوفة وأنا معه، وذلك على عهد المنصور، وقدِمها أبـو عبـد الله جعفر بـن محمَّد بن عـليّ العلـويّ، فخرج جعفـر بن محمَّـد الصادق عليه السلام يريـد الرجوع إلى المدينة، فشـيَّعه العلماء وأهـل الفضل من الكوفة، وكان فيمن شـيَّعه الثوريّ وإبراهيم بن آدم، فتقدَّم المشـيِّعون له عليه السلام، فإذا هم بأسـد على الطريق، فقال لهم إبراهيـم بن أدهم: قفوا حتَّى يـأتي جعفر عليه السلام، فننظر ما يصنع، فجاء جعفر عليه السلام، فذكروا له حال الأسـد، فاقبل أبو عبد الله عليه السلام حتَّى دنا من الأسـد، فأخـذ بأُذنه حتَّى نحَّاه عن الطريـق، ثـمَّ أقبل عليهم فقـال: **أمَّا أنَّ الناس لـو أطاعوا الله حقَّ طاعتـه؛ لحملوا عليه أثقالهم**»[2].

وقال جويرية بن مسـهر: «خرجت مع أمير المؤمنين نحو بابل لا ثالث لنا، فمضى وأنا سـائر في السـبخة، فإذا نحن بالأسـد جاثمًا بالطريق، ولبوته خلفه، وشـبال اللبوة خلفها، فكبحت دابَّتي لأن أتأخَّر، فقال: **أقدم يا جويرية فإنما هو كلب الله، وما من دابة إلَّا الله هو آخذ بنا صيتها لا يكفي شرها إلَّا هو**، فإذا أنا بالأسد قد أقبل نحوه، يبصبص له بذَنَبه، فدنا منه، فجعل يمسح قدمه بوجهه، ثمَّ أنطقه الله عزَّ وجلَّ، فنطق بلسان طلق ذلق، فقـال: السـلام عليك يا أمير المؤمنـين ووصي خاتم النبيِّين. فقال عليه السلام: **وعليك السـلام يا حيدرة، ما تسـبيحك**؟ قال أقول: سبحان ربِّي، سبحان إلهي، سبحان مَن أوقع المهابة والمخافة في قلوب عباده منِّي، سبحانه سبحانه.

(١) عدَّة الداعي: ٨٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شـهر آشـوب (٥٨٨هـ): ٣/ ٣٦٦، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

فمضى أمير المؤمنين وإنا معه، واستمرت بنا السبخة، وضاقت وقت العصر، ووافت صلاة العصر، فأهوى فوتها ثمَّ قلت في نفسي مستخفيًا: ويلك يا جويرية أأنت أظنُّ أم أحرص من أمير المؤمنين؟ وقد رأيت من أمرِ الأسد ما رأيت.

فمضى وأنا معه حتَّى قطع السبخة، فثنى رجليه ونزل عن دابَّته، وتوجَّه فأذَّن مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمَّ همس بشفتيه، وأشار بيده، فإذا الشمس قد طلعت في موضعها من وقت العصر، وإذا لها صرير عند مسيرها في السماء، فصلَّى بنا العصر، فلمَّا انفتل، رفعت رأسي فإذا الشمس بحالها، فما كان إلَّا كلمح البصر، فإذا النجوم قد طلعت، فأذَّن وأقام وصلَّى المغرب، ثمَّ ركب وأقبل عليَّ فقال:

يا جويرية أقلت: هذا ساحر مفترٍ؟ وقلتَ لـمَّا رأيت طلوع الشمس وغروبها: أفسحر هذا أم زاغ بصري ساحر، فما ألقى الشيطان في نفسك ما رأيت من أمر الأسد؟ وما سمعت من منطقه؟ ألم تعلم أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، يا جويرية إنَّ رسول الله ﷺ كان يوحى إليه، وكان رأسه في حجري، فغربت الشمس، ولم أكن صلَّيت العصر، فقال ﷺ لي صلَّيت العصر؟ فقلت: لا، قال ﷺ: اللهمَّ إنَّ عليًّا كان في طاعتك وحاجة نبيِّك، ودعا بالاسم الأعظم، فرُدَّت عليَّ الشمس، فصلَّيت مطمئنًّا، ثمَّ غربت بعدما طلعت، فعلَّمني، بأبى هو وأمِّي، ذلك الاسم الذي دعا به، فدعوت به الآن. يا جويرية إنَّ الحقَّ أوضح في قلوب المؤمنين من قذف الشيطان فإنِّي قد دعوت الله بنسخ ذلك من قلبك، فماذا تجد؟ فقلت: يا سيِّدي قد محي ذلك من

(١) الأعراف: ١٨٠.

قلبي»[1]..[2].

فصل: تحليل الرواية

«واعلم أنَّ في قوله: فإذا لم يسأل المخلوقين، فقد أقرَّ بالعبودية لله، دليل على ضعف إيمان السائل، وقوَّة إيمان الراجي؛ لأنَّه لـمَّا نفى أن يكون هناك معطٍ غير الله، أعرض بمسألته عن غير الحقِّ، فخلص توحيده، وتمَّت عبوديَّته»[3].

وبعد تحليل الرواية، يضع تعضيدًا لرأيه، فيقول:

(١) والنصُّ بدأ من «يوحى إليه، وكان رأسه في حجري.. قد محى ذلك من قلبي». ظ: قرب الإسناد، الحميريّ القمِّيّ (٣٠٠هـ): ١٧٥، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١ ١٤١٣، مطبعة مهر، قم، وظ: من لا يحضره الفقيه، الصدوق (٣٨١هـ): ١/ ٢٠٣، تحقيقوتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، وظ: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ١٤٤، العقد النضيد والدرّ الفريد، محمَّد بن الحسن القمِّيّ (ق ٧هـ): ١٩٢، تحقيق: علي أوسط الناطقي، سيِّد هاشم شهرستاني، لطيف فرادي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ١٣٨١ش، دار الحديث للطباعة والنشر، وظ: المعجم الكبير، الطبرانيّ (٣٦٠هـ): ٢٤/ ١٥١، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، وظ: الإكمال في أسماء الرجال، الخطيب التبريزيّ (٧٤١هـ): ١٤٩، تحقيق وتعليق: أبي أسد الله بن الحافظ محمَّد عبد الله الأنصاري، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، وظ: ميزان الاعتدال، الذهبيّ: ٣/ ١٧٠، وظ: لسان الميزان، ابن حجر: ٤/ ٢٧٦، وظ: البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ): ٦/ ٩١، تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وظ: إمتاع الأسماع، المقريزيّ (٨٤٥هـ): ٥/ ٣٠، تحقيق وتعليق: محمَّد عبد الحميد النميسي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وظ: جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، ابن الدمشقيّ (٨٧١هـ): ١/ ١١٠، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة: دانش، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم، إيران.

(٢) عدَّة الداعي: ٨٧-٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ٨٨.

وفي هذا المعنى ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1]، قال: «**هو قول الرجل: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لما أُصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنَّه قد جعل لله شريكًا في مُلكه، يرزقه ويدفع عنه؟** قلت: فيقول: لولا أنَّ الله منَّ عليَّ بفلان لهلكت، قال: **نعم لا بأس بهذا ونحوه**»[2].

قال عليه السلام: «**شيعتنا من لا يسأل الناس شيئًا، ولو مات جوعًا، ولهذا السرُّ ردَّت شهادته، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: شهادة الذي يسأل في كفِّه تُردُّ**»[3].

ونظر عليّ بن الحسين عليه السلام يوم عرفة إلى رجال يسألون الناس، فقال: «**هؤلاء شرار من خلق الله، الناس مقبلون على الله، وهم مقبلون على الناس**»[4].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**لو يعلم السائل ما عليه من الوزر، ما سأل أحدٌ أحدًا، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع، ما منع أحدٌ أحدًا**»[5].

في بيان توصيف الجنَّة ونعيمها[6]

ومن هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصَف لك من نعيمها؛ لزهقت نفسك، ولتحمَّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالًا**

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) تفسير العيَّاشي، محمَّد بن مسعود (٢٣٠هـ): ٢/ ٢٠٠، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتي، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، وظ: مجمع البيان، الطبرسيّ: ٥/ ٤٦٢.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ١٣٨.

(٤) بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٦١.

(٥) جامع السعادات، ملَّا محمَّد مهدي النراقيّ (١٢٠٩هـ): ٢/ ٧٦، تحقيق وتعليق: السيِّد محمَّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمَّد رضا المظفَّر، ط٤، مطبعة النعمان النجف الأشرف.

(٦) عدَّة الداعي: ٩٨.

لها، وشوقا إليها»[1]. وهذه المبالغة حاصلة من الوصف، فكيف المشاهدة؟ وقد ورد عنهم عليهم السلام: «كلُّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلُّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه»[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[3].

في مذمَّة الدنيا وبيان بينونتها مع الآخرة[4]

وكذا يروى عن سيِّدنا أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه لمَّا كان يفرغ من الجهاد، كلن يتفرَّغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فإذا يفرغ من ذلك، اشتغل في حائط له يعمل فيه بيده، وهو مع ذلك ذاكر لله جلَّ جلاله. روى الحكم بن مروان عن جبير بن حبيب، قال: «نزل بعمر بن خطَّاب نازلة قام لها وقعد، تربح لها ترنح وتقطر، ثمَّ قال: معشر المهاجرين ما عندكم فيها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع، فغضب وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[5]، أما والله أنا وإيَّاكم لنعرف ابن بجدتها، والخبير بها. قالوا: كأنَّك أردت بن أبي طالب عليه السلام، قال: وأنَّى يعدل بي عنه؟ وهل طفحت جرَّة نفحت حرَّة بمثله؟ قالوا: فلو بعثت إليه، قال: هيهات هناك شمخ من هاشم، ولحمة من الرسول، وأثرة من علم يؤتى لها ولا يأتي، امضوا إليه، فأقصفوا نحوه، وأفضوا إليه، وهو في حايط له عليه تبان، وهو يتركل على مسحاته، وهو يقول: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾[6]، ودموعه تهمي على خدَّيه، فأجهش القوم لبكائه، ثمَّ سكن وسكنوا، وسأله عمر عن مسألته، فأصدر إليه جوابها، فلوى عمر يديه ثمَّ

(١) نهج البلاغة، من خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٢/ ٧٦، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٢٧٨.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمَّد عبده: ١/ ٢٢٥، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة، قم، دار الذخائر، قم، إيران.
(٣) الإنسان: ٢٠.
(٤) عدَّة الداعي: ١٠٠.
(٥) الاحزاب: ٧٠.
(٦) القيامة: ٣٦-٣٧.

قال: أما والله لقد أرادك الحقُّ، ولكن أبى قومك، فقال عليه السلام له: **يا أبا حفص عليك من هنا ومن هنا** ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾[1]، فانصرف وقد أظلمَّ وجهه، وكأنَّما ينظر إليه من ليل»[2].

في مذمَّة المتوغِّلين في الدنيا، ومدح الفقراء، وخفَّة حسابهم[3]

في الخبر النبويّ صلى الله عليه وآله: «**أنَّه يُفتح للعبد يوم القيامة على كلِّ يوم من أيَّام عمره أربع وعشرون خزانة، عدد ساعات الليل والنهار، فخزانة يجدها مملوءة نورًا وسرورًا، فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وُزِّع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربَّه، ثمَّ يُفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة متنَّنة مفزعة، فيناله منها عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسِّم على أهل الجنَّة لنقص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربَّه، ثمَّ يفتح له خزانة أخرى فيراها خالية ليس فيها ما يسرُّه ولا يسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها، أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فيناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكِّنا من أن يملأها حسنات ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4]..»[5].

(١) النبأ: ١٧.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيِّد ابن طاووس (٦٦٤هـ): ٤٤٢، ط١، ١٣٩٩، مطبعة الخيام، قم، وظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي لحديد (٦٥٦هـ): ١٢/ ٧٩.

(٣) عدَّة الداعي: ١٠١.

(٤) التغابن: ٩.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ (٦٧٩هـ): ٢/ ٣٢٠، عني بتصحيحه عدَّة من الأفاضل، وقُوبِل بعدَّة نسخ موثوق بها، ط١، تابستان ١٣٦٢ش، مطبعة چاپخانه، دفتر تبليغات اسلامي، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلاميّ، الحوزة العلميَّة، قم، إيران.

فصل: ليبيِّن المصنِّف المباحات والشهوات التي تمنع الإنسان من أن ينال الدرجات العلى، فيقول: «ولا تأخذ بقول من يقول أنا أتنعَّم في الدنيا بما أباحه الله تعالى، وأقوم بالواجبات، وإخراج الحقوق و: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، فأتنعَّم بما أباحه الله من طيِّب المآكل اللذيذة، والملابس السنيَّة، والمراكب الفاخرة، والدور العامرة، والقصور الباهرة، ولا يمنعني ذلك من الاستباق إلى الجنَّة مع السابقين، بل ينبغي أن تعلم أنَّ هذا مقالة أهل حمقٍ وغرور، وذلك من وجوه:

الأوَّل: إنَّ المتوغِّل في فضول الدنيا لا ينفكُّ عن الحرص المهلك الموقع في الشبهات، ومن تورَّط في الشبهات هَلَك لا محالة.

الثاني: إن سلم من الحرص، وأنَّى له بالسلامة عنه؟ لم يسلم من الفظاظة، وقساوة القلب، والتكبُّر، كيف لا ؟ وهو تعالى يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[2]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وفضول المطعم؛ فإنَّه يسمُ القلب بالقسوة**»[3]. وروى حسَّان ابن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ رجلًا فقيرًا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده رجل غنيّ،**

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) العلق: ٦ ٧.

(٣) جاءت غير مجتزأة في الفتوح المكيَّة، ابن عربيّ (٦٣٨هـ): ٤/ ٥٤٣، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وفضول المطعم، فإن فضول المطعم يسمُ القلب بالقساوة، ويُبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصمُّ الهمم عن سماع الموعظة، وإيَّاكم وفضول النظر، فإنَّه يبذر الهوى ويولد الغفلة، وإيَّاك واستشعار الطمع، فإنَّه يشرب القلب شدَّة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبِّ الدنيا، فهو مفتاح كلِّ سيِّئة، وسبب إحباط كلِّ حَسَنة**»، وظ: أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ): ٣٣٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم، الناشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم

فكفَّ ثيابه وتباعد عنه، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على ما صنعت، أَخَشيت أن يلصق فقره بك، أو يلصق غناك به؟ فقال: يا رسول الله، أمَّا إذا قلت هذا، فله نصف مالي، قال رسول الله ﷺ للفقير: أتقبل منه؟ قال: لا، قال ﷺ: ولمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخله»[1]. وعنه عليه السلام قال في الإنجيل: «**إنَّ عيسى عليه السلام قال: اللهمَّ ارزقني غدوة رغيفًا من شعير، وعشية رغيفًا من شعير، ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى، وكما أن الخائض في الماء يجد بللًا لا محالة، كذلك صاحب الدنيا يجد على قلبه رينًا وقسوةً لا محالة**»[2].

الثالث: إن يخرج من قلبه حلاوة العبادة والدعاء، وقد نبَّه عليه عيسى عليه السلام فيما عرفت.

الرابع: شدَّة الحسرة عند مفارقة الدنيا، والفقير على العكس من ذلك.

وعن الصادق عليه السلام: «**من كثر اشتباكه بالدنيا، أشدّ حسرة عند فراقها**»[3].

الخامس: كون الفقراء هم السابقون إلى الجنَّة، والأغنياء في عرصات القيامة للحساب. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**تخفَّفوا تلحقوا إنَّما ينتظر بأوَّلكم آخركم**»[4]. وتحسَّر سلمان الفارسيّ رضوان الله عليه عند موته، فقيل له:

(١) إرشاد القلوب، الحسن بن محمَّد الديلميّ (ق ٨هـ): ١/ ١٥٩، المجموعة: مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة عليهم السلام، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٣٧٤ش، مطبعة: أمير، قم، انتشارات الشريف الرضيّ.

(٢) بحار الأنوار: ١٤/ ٣٢٦.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٢٠، وظ: مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ (ق ٧هـ): ٤٧٣.

(٤) من كلام لأمير المؤمنين مُجتزأ من خطبة له، ظ: نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين: ١/ ٥٨، خصائص الأئمَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق: محمَّد هادي الأميني، ربيع الثاني ١٤٠٦، وظ: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ (٥٠٨هـ): ٤٩٠، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، وظ: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١/ ٣٢٦، وظ: عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمَّد الليثي الواسطيّ (ق٦هـ): ٢٠٣،=

«على ما تأسُّفك يا أبا عبد الله؟ قال: ليس تأسُّفي على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا، وقال: **لتكن بلغة أحدكم كزاد الراكب**، وأخاف أن نكون قد جاوزنا أمره، وحولي هذه الأساود، وأشار إلى ما في بيته، وإذا هو دست وسيف وجفنة»[1].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله الخائفون الخاشعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا يسبقون الناس إلى الجنَّة؟ قال صلى الله عليه وآله: **لا، ولكن فقراء المؤمنين يأتون فيتخطَّون رقاب الناس، فيقول لهم خَزَنة الجنَّة: كما أنتم حتَّى تُحاسَبوا، فيقولون: بمَ نُحاسَب؟ فو الله ما ملكنا فنجور ونعدل، ولا أُفيض علينا فنقبض ونبسط، ولكن عبدنا ربَّنا حتَّى آتانا اليقين**»[2]. روى محمَّد بن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنَّ الفقراء المؤمنين ليتقلَّبون في رياض الجنَّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، ثمَّ قال: سأضرب لكم مثلًا، إنَّما مَثَل ذلك مَثَل سفينَتَين مرَّ بهما على باخس، فنظر في أحديهما فلم يجد فيها شيئًا، فقال: أسربوها، ونظر في الأخرى فإذا هي موقَّرة، فقال: احبسوها**»[3].

روى داوود بن النعمان عن إسحاق بن عمَّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا كان يوم**

=تحقيق: الشيخ حسين الحسينيّ البيرجنديّ، ط١، مطبعة دار الحديث، وظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٣٠١، وظ: تفسير مجمع البيان: ٤/ ٤٠، وظ: تاريخ الطبريّ، الطبريّ (٣١٠هـ): ٣/ ٤٥٧، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلَّاء، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، محمَّد بن طلحة الشافعيّ (٦٥٢هـ): ١٥٧، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطيَّة.

(١) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٤٩٠، باختلاف في الألفاظ.

(٢) الأمالي، الطوسيّ (٤٦٠هـ): ٥٣٢، وظ: مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٦٣.

(٣) الأمالي، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب، كلاهما من أهل الجنَّة، فقير في الدنيا، وغني في الدنيا، فيقول الفقير: يا ربِّ على ما أُوقف؟ فوعزَّتك إنَّك لتعلم أنَّك لم تولِّني ولاية، فاعدل فيها أو أجور، ولم تملِّكني مالًا، فأؤدِّي منه حقًا أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني فيها إلَّا كفافًا أعلى ما علمت وقدَّرت لي؟.

فيقول الله تبارك وتعالى: صَدَقَ عبدي خلُّوا عنه حتَّى يدخل الجنَّة، ويبقى الآخر حتَّى يسيل منه العرق ما لو شربه أربعون بعيرًا لأصدرها، ثمَّ يدخل الجنَّة، فيقول له الفقير: ما حَبَسك؟ فيقول: طول الحساب، ما زال يجيئني الشيء فيغفر الله بي، ثمَّ أُسأل عن شيء آخر حتَّى تغمَّدني الله منه برحمته، وألحقني بالتائبين، فمن أنت؟ فيقول له: أنا الفقير الذي كنت معك آنفًا، فيقول: لقد غيَّرك النعيم بعدي»[1].

السادس: مصادفة إكرام الله الفقير يوم القيامة وتعطُّفه عليه.

وقال الصادق عليه السلام: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليتعذر إلى عبده المؤمن المحوج كان في الدنيا، كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: فوعزَّتي وجلالي، ما أفقرتك لهوان كان بك عليَّ، فارفع هذا الغطاء، فانظر إلى ما عوَّضتك من الدنيا، فيكشف فينظر ما عوَّضه عزَّ وجلَّ من الدنيا، فيقول: ما ضرَّني يا ربُّ ما زويت عنِّي مع ما عوَّضتني»[2].

السابع: إنَّ الفقر حِلية الأولياء، وشعار الصالحين، ففيما أوحى الله تعالى إلى موسى: «إذا رأيت الفقر مقبلًا، فقُل: مرحبًا بشِعَار الصالحين، وإذا رأيت الغِنى مقبلًا،

(١) الأمالي، الصدوق (٣٨١هـ): ٤٤١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ، وظ: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٤٥٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٩/ ٥٥.

فقُل: ذنب عجّلت عقوبته»[1]..[2].

في بيان اكتفاء الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بالضيق من العيش[3]

ثمَّ انظر في قصص الأنبياء عليهم السلام، وخصاصتهم، وما كانوا فيه من ضيق العيش، فهذا موسى كليم الله عليه السلام الذي اصطفاه بوحيه وكلامه، كان يرى خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله، وما طلب حين آوى إلى الظلّ بقوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4]، وتشذّب لحمه.

في بيان أنَّ الأغنياء المترفين هم المقدَّمون لجحود الشرايع[5]

فصل: تعقيب المصنِّف: «وكيف يرغب العاقل عن حبِّ المسكنة والمساكين، وهو يرى الأولياء والأوصياء على هذه الأوصاف؟ بل وظيفة القيام بخدمة الصانع، وامتثال أوامر الرُّسل والشرايع، وإحياء دين الله، وإعزاز كلمته، ونصرة الرسل، وانتشار دعواهم من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، لم يقم إلَّا بأولي الفقر والمسكنة، أوَ لا تسمع ما قصَّ الله سبحانه وتعالى عليك في كتابه العظيم على لسان نبيِّه الكريم؟ وأبان لك أنَّ المتصدِّي لإنكار الشرايع، والمقدِم على جحود الصانع، إنَّما هم الأغنياء المترفون، والأشراف المتكبِّرون، فقال مُخبرًا عن قوم نوح، إذ عيَّروه وازدرؤا العصابة

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٦٣، الامالي، الصدوق: ٧٥٦، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٤٧، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٦٦، تفسير القمّيّ، عليّ بن إبراهيم القمّيّ (٣٢٩هـ): ١/ ٢٠٠، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، ط٣، صفر ١٤٠٤، مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم، إيران، تفسير السمرقنديّ، أبو الليث السمرقنديّ (٣٨٣هـ): ١/ ٤٦٨، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر، تفسير القرطبيّ: ٦/ ٤٢٦.

(٢) عدَّة الداعي: ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٧.

(٤) القصص: ٢٤.

(٥) عدَّة الداعي: ١١١.

الذين اتَّبعوه، وهم فيما قالوه متبجِّحون: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[1]، ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾[2]، وقالوا لشعيب: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[3]، وقال المستكبرون من قوم صالح للذين استُضعِفوا لمن آمن منهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾[4]، وقال بنو يعقوب: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[5]، وقال فرعون مزدريًا لموسى ومفتخرًا عليه: ﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾[6]، وقالوا لمحمَّد ﷺ: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۖ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾[7]، ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا﴾[8]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾[9]، يعنون مكَّة والطائف، والرجلان أحدهما المغيرة من مكَّة، وقيل: الوليد ابنه، وأبو مسعود عروة بن مسعود الثقفيّ من الطائف، وقيل:

(١) الشعراء: ١١١.
(٢) هود: ٢٧.
(٣) هود: ٩١.
(٤) الأعراف: ٧٥.
(٥) يوسف: ٨٨.
(٦) الزخرف: ٥٣.
(٧) الفرقان: ٨.
(٨) الإسراء: ٩١.
(٩) الزخرف: ٣١.

حبيب بن عمر والثقفيّ من الطائف، وإنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّ الرجلَين إنَّما كانا عظيمَي قومهما، وذوي الأموال الجمَّة فيهما، فكفى بهذا وأمثاله مدحًا وفخرًا للمسكنة والقلَّة، وذمًّا للشرف والكثرة[1]، كيف لا، وهو تعالى يقول لعيسى: **يا عيسى أنِّي قد وهبت لك حبَّ المساكين ورحمتهم، تحبُّهم ويحبُّونك، يرضون بك إمامًا وقائدًا، وترضى بهم صحابةً وتبعًا، وهما خلقان مَن لقيني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبّها إليَّ**»[2].

في بيان المنقطعين إلى الله وإجابة دعائهم تحت عنوان فصل[3]

قال: «ومن المجابين من لا يعتمد في حوائجه على غير الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[4]. روى حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئًا إلَّا أعطاه، فليأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاء إلَّا من عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه، لم يسأله شيئًا إلَّا أعطاه**»[5]. وفيما وعظ الله تعالى

(١) بحار الأنوار: ٩/ ١٤٩، وظ: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ (١٣٢٤هـ): ٩/ ٨٥، تحقيق: سيِّد إبراهيم الميانجي، ط٤، مطبعة الإسلاميَّة بطهران، بنياد فرهنگ امام المهدي عليه السلام.

(٢) الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ (٩١١هـ): ٢/ ٢٧، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الحديث «وأخرج أحمد عن وهب بن منبه، قال: أوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: **إنِّي وهبت لك حبَّ المساكين ورحمتهم، تحبُّهم ويحبُّونك، ويرضون بك إمامًا وقائدًا، وترضى بهم صحابةً وتبعًا، وهما خلقان، اعلم أنَّ من لقيَني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبّها إليَّ**».

(٣) عدَّة الداعي: ١٢٢.

(٤) الطلاق: ٣.

(٥) فقه الرضا، عليّ بن بابويه (٣٢٩هـ): ٣٦٧، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرَّفة، ط١، شوَّال ١٤٠٦هـ، المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدَّسة، وظ: الكافي، الشيخ الكلينيّ: ٨/ ١٤٣، وظ: الأمالي، المفيد (٤١٣هـ): ٢٧٤، تحقيق: حسين الأستاد ولي،=

به عيسى: «يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري، فيحسن منك الدعا ومنِّي الإجابة، ولا تدعني إلَّا متضرِّعا إليَّ، وهمُّك همًّا واحدًا، فإنَّك متى تدعني كذلك أُجِبك»[1]..»[2].

الباب الرابع: في كيفيَّة الدعا[3]

وله آداب، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

فمنها: ما يكون قبل الدعا، كالطهارة، وشمُّ الطِّيب، واستقبال القبلة، والصَّدقة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[5]، أي وليتحقَّقوا أنِّي قادر على إعطائهم ما سألوا.

فصل: ومن الآداب حسن الظنِّ بمالك العباد في إجابته[6]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[7].

=عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الأمالي، الطوسيّ: ٣٦.

(١) الكافي، الكلينيّ: ٨/ ١٣٣، الأمالي، الصدوق: ٦٠٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق٨هـ): ٢٢٨، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

(٢) عدَّة الداعي: ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١.

(٤) المجادلة: ١٢.

(٥) البقرة: ١٨٦

(٦) عدَّة الداعي: ١٣٤.

(٧) الأعراف: ٥٦.

وتحت عنوان فصل، يوضح المصنِّف قوله تعالى:

وكيف لا يحسَن الظنُّ به، وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وهو الذي سبقت رحمته غضبه.

وقال الصادق عليه السلام: «**تدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحجّ والصدقة والدعا والبر، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت**»(١)، وقال عليه السلام: «**من عمل من المسلمين عن ميت عملًا خيرًا، ضعَّف الله له أجره، ونفع الله به الميت**»(٢). ومن ذلك ما أمر به نبيه صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾(٣).

فانظر كيف قرَن الأمر بالاستغفار مع شهادة التوحيد التي هي أسُّ الإسلام، وعليها مدار الأحكام، وهل هذا إلَّا غاية العناية وأتمُّ الرحمة وأكمل الفضل؟ ثمَّ أكَّد البيان بالمقال في هذا المثال، مع ما أظهر من شواهد الحال: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وتوعَّد مَن أساء ظنَّه به، وغضب عليه، ومن أوضح الأدلَّة على وفور كرمه ومحبَّته لحسن الظنِّ به، وأنَّه يحقِّق ظنَّ عبده به إذا كان حسنًا، لا يخلفه لا محالة ما أمر به سبحانه من التوكُّل عليه، فقال عزَّ من قائل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤)، وكفاك بهذه الآية حثًّا على التوكُّل، وترغيبًا فيه، حيث جعله شرط الإيمان، ثمَّ أكَّد

(١) من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٨٥، وظ: وسائل الشيعة: ٢/ ٤٤٤، بحار الأنوار: ٧٩/ ٦٢.

(٢) المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ: ١/ ٣٤٠، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازيّ، ١٣٦٤/ ٣/ ١٤ ش، مطبعة مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم، تذكرة الفقهاء، العلَّامة الحِلِّيّ: ٢/ ١٢٢، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، صفر ١٤١٤هـ، مطبعة مهر، قم.

(٣) محمَّد: ١٩.

(٤) المائدة: ٢٣.

سبحانه ذلك بتبشيره لهم بالمجازات والكفاية والأفضال والرعاية لما ثابوا إلى هذا النداء الجليل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ثمَّ زاد في سرورهم بالبشارة لهم بمصادقة قبوله ومحبَّته، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

وسئل الصادق عليه السلام: «عن حدِّ التوكُّل، فقال: **ألَّا يخاف مع الله شيئًا، فكان عقد التوكُّل ومداره على حسن الظنِّ بالله؛ لأنَّ الذي لا يخاف مع الله شيئًا، لا بدَّ وأن يكون حسن الظنِّ به، ثمَّ انظر إلى ما ورد عن سادات الأنام في هذا المعنى من الكلام**»[3].

روى عن العالم عليه السلام أنَّه قال: «والله ما أعطى مؤمن قطُّ خير الدنيا والآخرة إلَّا بحسن ظنِّه بالله عزَّ وجلَّ، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفِّ عن اغتياب المؤمنين، والله تعالى لا يعذِّب عبدًا بعد التوبَّة والاستغفار إلَّا بسوء ظنِّه وتقصيره في رجائه الله عزَّ وجلَّ، وسوء خلقه، واغتيابه المؤمنين، وليس يحسن ظنُّ عبد مؤمن بالله عزَّ وجلَّ، إلَّا كان الله عند ظنِّه؛ لأنَّ الله كريم يستحيي أن يخلف ظنَّ عبده ورجائه، فأحسِنوا الظنَّ بالله، وارغبوا إليه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ

(١) آل عمران: ١٧٣-١٧٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) ظ: الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٥٧، والحديث «الحسين بن محمَّد، عن معلَّى بن محمَّد، عن الحسن بن عليّ الوشَّاء، عن المثنَّى بن الوليد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **ليس شيء إلَّا وله حدٌّ**. قال: قلت: جُعلت فداك فما حدُّ التوكُّل ؟ قال: **اليقين**، قلت: فما حدُّ اليقين؟ قال: **ألَّا تخاف مع الله شيئًا**»، وظ: وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٠٢، وظ: بحار الأنوار: ٦٧/ ١٤٢.

مَصِيرًا﴾[1]..[2]. وروي: «أنَّ الله تعالى إذا حاسب الخلق، يبقى رجل قد فضلت سيِّئاته على حسناته، فتأخذه الملائكة إلى النار، وهو يلتفت، فيأمر الله تعالى بردِّه، فيقول له: لِمَ تلتفت؟- وهو أعلم به- فيقول: يا ربِّ ما كان هذا حسن ظنِّي بك. فيقول الله تعالى: ملائكتي وعزَّتي وجلالي، ما أحسن ظنَّه بي يومًا، ولكن انطلقوا به إلى الجنَّة لادِّعائه حسن الظنِّ بي»[3].

وقد روي: «أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يسمع تأوُّهه على حدِّ ميل، حتَّى مدحه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[4]، وكان في صلاته يُسمَع له أزيز كأزيز المرجل»[5].

وتحت عنوان فصل:

ومن الشروط أن لا يسأل محرمًا، ولا قطيعة رحم، ولا يتضمَّن قلَّة الحياء وإساءة الأدب[6].

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[7]، أي تخشُّعًا وتذلُّلاً سرًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، أي: لا يتجاوز الحدَّ في دعائه، كأن يطلب في دعائه منازل الأنبياء. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا صاحب

(١) الفتح: ٦.
(٢) فقه الرضا، عليّ بن بابويه (٣٢٩هـ): ٣٦٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ): ٤٥٥، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٥٦.
(٤) هود: ٧٥.
(٥) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٤٦.
(٦) عدَّة الداعي: ١٣٩.
(٧) الأعراف: ٥٥.

الدعا لا تسأل ما لا يكون، ولا يحلّ»[1]. وقال عليه السلام: «**من سأل فوق قدره؛ استحقَّ الحرمان**»[2].

القسم الثاني فيما يقارن حال الدعاء من الآداب[3]

وهي أمور:

الرابع: الأسرار بالدعاء: لبعده عن الريا، ولقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، ولرواية إسماعيل بن همام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**دعوة العبد سرًّا دعوة واحدة، تعدل سبعين دعوة علانية**»[4]، وفي رواية أخرى: «**دعوة تخفيها أفضل من سبعين دعوة تظهرها**»[5].

السادس: الاجتماع في الدعاء[6]: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

(١) ظ: بحار الأنوار: ١٠/ ١١٣.

(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلوانيّ (ق ٥هـ): ١١٠، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٨هـ، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدَّسة، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطيّ (٧٤٩هـ): ٤٥، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الدرَّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ)، تحقيق: جلال الدين عليّ الصغير، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٠٣.

(٣) عدَّة الداعي: ١٤١.

(٤) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ): ١/ ٤٥٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، محرَّم ١٤١٩هـ، مطبعة ستاره، قم. الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٤٧٦، ثواب الأعمال، الصدوق (٣٨١هـ): ١٦١، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، ط٢، ١٣٦٨ش، مطبعة أمير، قم، منشورات الشريف الرضيّ، قم، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ (٥٤٨هـ): ٢٧٠، ط٦، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضيّ.

(٥) الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٤٧٦.

(٦) عدَّة الداعي: ١٤٥.

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[1]، وأمر الله تعالى بالاجتماع للمباهلة. وروى: «أبو خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **«ما من رهط أربعين رجلًا اجتمعوا فدعَوا الله في أمر إلَّا استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا أربعين، فأربعة يدعون الله عشر مرات، إلَّا استجاب الله عزّ وجلّ لهم، فإن لم يكونوا أربعة، فواحد يدعو الله أربعين مرَّة يستجيب الله العزيز الجبَّار له»**[2].

وروى: عبد الأعلى، عنه عليه السلام: **«ما اجتمع أربعة قطُّ على أمر فدعوا الله تعالى إلَّا تفرَّقوا عن إجابة تذنيب، والمؤمن شريك في الدعا»**[3]. قال الله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، وكان الداعي موسى، وهارون يؤمن على دعائه، فنُسِب الدعا إليهما، وقال: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾.

السابع: إظهار الخشوع: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[5]. وفي دعائهم عليهم السلام: **«ولا ينجى منك إلاَّ التضرع إليك»**[6]. وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام: **«يا موسى كن إذا دعوني خائفًا مشفقًا وجِلًا، وعفِّر**

(١) الكهف: ٢٨.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٤٨٧.
(٣) الدعوات، قطب الدين الراونديّ (٥٧٣هـ): ٢٩، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٦٠.
(٤) يونس: ٨٩.
(٥) الأعراف: ٥٥.
(٦) الرسائل العشر، الطوسيّ: ١٥٠، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، إيران، مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ: ١٩٥، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، مَن لايحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٤٩٠، إقبال الأعمال، ابن طاووس (٦٦٤هـ): ٢/ ١٨٢، تحقيق: جواد القيُّومي الأصفهانيّ، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١٥هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ.

وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يديَّ في القيام، وناجني حيث تناجيني بخشيةٍ من قلبٍ وجِل. وإلى عيسى عليه السلام: **يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين، الذي ليس له مغيث، يا عيسى أذل لي قلبك، وأكثر ذِكري في الخلوات، واعلم أنَّ سروري أن تبصبص إليَّ، وكن في ذلك حيًّا ولا تكن ميتًا، وأسمِعني منك صوتًا حزينًا»**[1].

العاشر: البكاء في حال الدعاء، وهو سيِّد الآداب وذروة سنامها[2]: تحت عنوان نصيحة: وإذا وفقت للدعا وساعدتك العينان على البكاء، وجادت لك بإرسال الدموع السجام عند تذكارك الذنوب العظام، والفضائح في يوم القيامة، وإشفاق الخلائق من الملك العلَّام، وتمثَّل ما يحلُّ بالخلائق وقد خرست الألسن وخمدت الشقاشق، وكانت الجوارح هي الشاهد والناطق، وعظم هنالك الرخام، فألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان، يوم تُبلى السرائر، وتظهر فيه الضمايِر، وتنكشف فيه العورات، ويؤمن فيه النظر والالتفات، وكيف وأنَّى لهم بالنظر؟ ومنهم المسحوب على وجهه، والماشي على بطنه، ومنهم من يوطَئ بالأقدام مثل الذرِّ، ومنهم المصلوب على شفير النار حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم المطوق بشجاع في رقبته تنهشه حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم من تسلَّط عليهم الماشية ذوات الأخفاف، فتطأه بأخفافها، وذوات الأظلاف، فتنطحه بقرونها، وتطأه بأظلافها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة عزلى قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان.** قالت سودة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله: وا سوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال صلى الله عليه وآله: **شغل الناس عن ذلك ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾**[3]، **وكيف وأنَّى لهم**

(١) الكافي: ٨/ ٤٤، بحار الأنوار: ١٣/ ٣٣٤.
(٢) عدَّة الداعي: ١٦٢.
(٣) عبس: ٣٧.

بالنظر؟ ومنهم المسحوب على وجهه، والماشي على بطنه، ومنهم من يوطَئ بالأقدام مثل الذرِّ، ومنهم المصلوب على شفير النار حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم المطوَّق بشجاع في رقبته تنهشه حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم من تسلَّط عليه الماشية ذوات الأخفاف، فتطأه بأخفافها، وذوات الأظلاف، فتنطحه بقرونها، وتطأه بأظلافها»[1].

الرابع عشر الدعاء للإخوان والتماسه منهم[2]:

(١) صحيح مسلم: ٨/ ١٥٦، سنن الترمذيّ: ٤/ ٣٨، شرح مسلم، النوويّ (٦٧٦هـ): ١٧/ ١٩٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، مجمع الزوائد، الهيثميّ: ١٠/ ٣٣٣، المعجم الكبير، الطبرانيّ: ٣/ ٩٠، مسند الشامين، الطبرانيّ: ١/ ٧٦، رياض الصالحين، يحيى ابن شرف النوويّ (٦٧٦هـ)، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعيّ (٧٦٢هـ): ٣/ ٢١٨، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، ١٤١٤هـ، مطبعة الرياض، دار ابن خزيمة، مجمع البيان، الطبرسيّ: ٢/ ٤٢٠، جامع البيان، الطبريّ: ١٧/ ١٣٥، تفسير السمعانيّ، السمعانيّ (٤٨٩هـ): ٣/ ٤١٢، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مطبعة السعوديَّة، دار الوطن، الرياض، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيَّة الأندلسيّ (٥٤٦هـ): ٤/ ١٠٢، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمَّد، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مطبعة لبنان، دار الكتب العلميَّة، تفسير القرطبيّ: ١٠/ ٤١٨، التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطيّ الكلبيّ (٧٤١هـ): ٣/ ٣٣، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مطبعة لبنان، دار الكتاب العربيّ، تفسير البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ): ٦/ ٣١٨، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مطبعة لبنان، بيروت، دار الكتب العلميَّة، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ): ٦/ ٢٤٦، تحقيق: عليّ شيري، ١٤١٥هـ، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، غريب الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ): ١/ ٢٤٦، تحقيق: دكتور عبد الله الجبوريّ، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلميَّة، قم، غريب الحديث، الحربيّ (٢٨٥هـ): ١/ ٢٨٢، تحقيق: الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمَّد العاير، ط١، ١٤٠٥هـ، مطبعة مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، جدَّة.

(٢) عدَّة الداعي: ١٧٠.

وفيما رواه: «جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1]، قال: **هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملك: ولك مثل ما سألت، وقد أُعطيت لحبِّك إيَّاه**»[2]، إيماءً لما ذكرناه.

في المتهجِّدين[3]:

وكم نشرع في الدعاء بالتكلُّف من غير إقبال، ويكون آخره البكاء والابتهال، والإلحاح في السؤال، بل ترك الدعا والسؤال مقسٍّ للقلب ومظلم له حتَّى لا يكاد على طول تركه تميل النفس إليه أصلًا، وإذا اعتيد ألفته وعشقته وعاد هواها ومشتهاها. قال الصادق عليه السلام يومًا للمفضَّل بن صالح: «**يا مفضَّل إنَّ لله عبادًا عاملوه بخالص من سرِّه، فعاملهم بخالص من برِّه، فهم الذين تمرُّ صحفهم يوم القيامة فرغًا، وإذا وقفوا**

(١) الشورى: ٢٦.

(٢) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢٨٩، تذكرة الفقهاء، العلَّامة: ٨/ ١٨٢، الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٥٠٧، الأمالي، الصدوق: ٥٤٠، كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١١، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، محرَّم الحرام ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، من لايحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ٢١٢، تهذيب الأحكام، الطوسيّ: ٥/ ١٨٤، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٣٢٨، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٢٥٧، مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ (٧هـ): ٥٦٩، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة دار الحديث، مسند أحمد: ٨/ ٦٨، صحيح مسلم: ٨/ ٨٦، سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ): ٢/ ٩٦٧، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنن أبي داوود (٢٧٥هـ): ١/ ٣٤٣، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحَّام، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) عدَّة الداعي: ١٩٤.

بين يديه تعالى ملأها من سرّ ما أسرُّوا إليه. فقلت: يا مولاي ولِمَ ذلك؟ فقال: اجلهم أن تطّلع الحفظة على ما بينه وبينهم. يا هذا لا تغفل عن هذه المقامات الشريفة التي هي أنفس من الجنّة، كيف لا؟ وهي السبب في الوصول إليها، وإلى ما هو أكبر منها، إنّها سبب لرضوان الله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[2]..»[3].

في بيان أقسام الذنوب وتبعاتها[4]

وتحت عنوان فصل، قال المصنِّف: واعلم أنَّه قد ورد في أدعيتهم عليهم السلام الاستعاذة من أنواع الذنوب، وقد ورد تفسيرها عن مولانا زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال: «إنَّ الذنوب التي تغيِّر النِّعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النِّعم، وترك الشكر، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾[5].

والذنوب التي تورث الندم: قتل النفس التي حرَّم الله، قال الله تعالى في قصَّة قابيل حين قتل أخاه، فعجز عن دفنه: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ

(١) المائدة: ١١٩.
(٢) التوبة: ٧٢.
(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٦٣.
(٤) عدَّة الداعي: ١٩٦.
(٥) الرعد: ١١.

مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾[1]، وتـرك صلة الرَّحم حين يقدر، وترك الصلاة حتَّى يخرج وقتها، وترك الوصيَّة، وردّ المظالم، ومنع الزكاة حتَّى يحضر الموت وينغلق اللسان.

والذنـوب التي تزيل النِّعـم: عصيان المعارف، والتطاول على الناس، والاسـتهزاء بهم، والسخرية منهم.

والذنـوب التي تدفع النعم: إظهار الافتقـار، والنوم عن صلاة العتمة، وعن صلاة الغداة، واستحقار النِّعم، والشكوى على المعبود عَزَّوَجَلَّ.

والذنـوب التي تهتـك العِصَم: شرب الخمـر، ولعب القـمار، وتعاطي ما يضحك الناس، واللغو، والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والذنوب التي تُنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك إعانة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعـروف والنهى عـن المنكر، والذنوب التي تديل الأعـداء، المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصيان الأخيار، والانقياد إلى الأشرار.

والذنوب التي تعجِّل الفنـاء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقاويل الكاذبة، والزنا، وسدُّ طرق المسلمين، وادِّعاء الإمامة بغير حقٍّ.

والذنـوب التي تقطع الرَّجـاء: اليأس من روح الله، والقنوط مـن رحمة الله، والثقة بغير الله تعالى، والتكذيب بوعد الله.

والذنوب التي تظلم الهواء: السحر، والكهانة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بوعد الله لقدر، وعقوق الوالدين.

والذنـوب التي تكشـف الغطاء: الاسـتدانة بغير نيَّـة الأداء، والإسراف في النفقة، والبخـل على الأهـل والأولاد وذوي الأرحام، وسـوء الخلق، وقلَّة الصبر، واسـتعمال الضجر والكسل، والاستهانة بأهل الدين.

(١) المائدة: ٣١.

والذنوب التي تردُّ الدعا: سوء النيَّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضة حتَّى تذهب أوقاتها.

والذنوب التي تحبس غيث السماء: جَور الحكَّام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلب على أهل الفقر والحاجة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهار السائل، وردِّه بالليل»[1].

فصل في المباهلة[2]

أمَّا وقتها: فيتوخَّى المروي إن أمكن، وهو ما رواه أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الساعة التي تباهل فيها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»[3].

وأمَّا كيفيَّتها: فما رواه محمَّد بن أبي عمير عن محمَّد بن حكيم عن أبي مسروق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت إنَّا نكلِّم الناس، فنحتجُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[4]، فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتجُّ عليهم بقول الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[5].. الخ، فيقولون: نزل في المؤمنين، فنحتجُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ

(١) معاني الأخبار، الصدوق: ٢٧٠، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.
(٢) عدَّة الداعي: ٢٠٠.
(٣) الكافي: ٢/ ٥١٤.
(٤) النساء: ٥٩.
(٥) المائدة: ٥٥.

شَكُورٌ﴾[1]، فيقولون: نزلت في القربى المسلمين، قال: فلم أدع شيئا ممَّا حضرني ذِكره إلَّا ذكرته له، فقال عليه السلام لي: **إذا كان لكم ذلك، فادعهم إلى المباهلة**. قلت: وكيف أصنع؟ فقال: **أصلح نفسك ثلاثًا**، وأظنه قال: **صُم واغتسل، وابرز أنت وهو إلى الجبان، فشبِّك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، وابدأ بنفسك، فقل: اللهمَّ ربَّ السماوات والأرض، وربَّ الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إن كان مسروق جحد حقًّا وادَّعى باطلًا، فأنزِل عليه حسبانًا من السماء، أو عذابًا أليمًا، ثمَّ ردَّ الدعوة فقُل: وإن كان فلان جحد حقًّا وادَّعى باطلًا، فأنزل عليه حسبانًا من السماء، أو عذابًا أليما**، ثمَّ قال لي: **فإنَّك لا تلبث أن ترى ذلك فيه، فو الله ما وجدت خلقًا يجيبني إليه**. وعن ابن عبَّاس: «**فشبِّك أصابعك في أصابعه وحلّ، ثمَّ تقول: اللهمَّ إن كان فلان جحد حقًّا أو أقرَّ بباطل، فأصبه بحسبان من السماء، أو بعذابٍ أليم من عندك**. وتلا عنه سبعين مرَّة»[2].

مكائد الشيطان، وله فيه مصايد[3]

الثالث: ممَّا يدلُّك أنَّ هذا من غوائل النفس وميلها إلى البطالة، أنَّك لـمَّا نظرت إلى فوات الثواب الحاصل لك من البطالة، وإلى فوات وقوعهم في الإثم، آثرتهم على نفسك بتخفيف ما يلزمهم من الإثم بسوء الظنِّ، وحرمت نفسك الثواب، وتفكر في نفسك وتمثل في قلبك بعين الإنصاف، ولو حصل بينك وبينهم في شيء من حظوظ العاجلة منازعة إمَّا في دار أو مال، أو ظهر لك نوع معيشة تظنُّ فيها فايدة وحصول مال، كنت تؤثرهم على نفسك، وتتركه لهم؟ كلَّا والله، بل كنت تناقشهم مناقشة

(١) الشورى: ٢٣.
(٢) الكافي: ٢/ ٥١٣.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٠٦-٢٠٨.

المشاقق، وتستأثر عليهم فيما يظهر لك من أنواع المعيشة، إن أمكنك فرصة الاستيثار، وتقلي الحبيب وتقصي القريب، وكم رأينا من هاجر قرينه وجفاه، وأبعد ابنه وخلَّاه، وكم من صديقَين تطاولت لهما الصداقة وتمادت بهم الملاطفة والأخوة برهة مديدة من الزمان، حتَّى دخلت الدنيا بينهما بمعاملة أو مشاركة، فرَّقت بينهما.

وسبب ذلك محبَّة الاستيثار، فدلَّ ذلك على أنَّ تركك العمل ليس شفقةً عليهم، ورحمةً لهم، وإنَّما هو نزعة من نزعات الشيطان، وميل النفس إلى الدَّعة والراحة، وإذا لم ترضَ بترك حطام الدنيا لهم، كيف تترك عمل الآخرة؟ وهو أنفس، وأنت إليه أحوج في فاقة القيامة، وهو أبقى لك من حظوظ الدنيا، فهل هذا إلَّا استثقالًا منك للعمل؟ وميلًا إلى الدَّعة، وتتعلَّل بما زيَّن لك الشيطان من مخائله الباطلة، ونعاته المعطلة، وإذا اشتغلت بالعمل نفعت نفسك، وعصيت عدوك، ونفعت عباد الله، فإنَّهم ربَّما وافقوك عليها فيحصل لك مثل ثوابهم إذا كنت السبب فيها، ومن سنَّ سنَّة حسنة كان له أجر من يعمل بها، وما يدريك؟ لعلَّ فيهم من يريد العمل، فقد ظنَّ مثل ما ظننت، فبادر إلى سدِّ باب الشيطان، ونشر عبادة الرحمن.

وقد ورد عنهم عليهم السلام في معنى هذا الكلام: العاقل لا يفعل شيئًا من الخير رياءً، ولا يتركه حياءً[1].

وهنا مكيدة أخرى للشيطان أضيق من الأولى، فأجهد في سدِّها، ولا تسلِّطه على فتح بابها فيفتحها، فإذا فتحها قوى على غيرها، وهو أن يقول لك الشيطان: اترك العمل لئلَّا يظنُّ الناس بك خيرًا وتشتهر به، وأحبُّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء، وإذا عُرِفت بين الناس بالعبادة، لم يكن لك حظٌّ في هذا الوصف. فاعلم أنَّ الواجب عليك مراعاة قلبك، ولا عليك إذا رأوك أو شهرت وقلبك واحد من علمهم بك وعدمه، وكيف

(١) عدَّة الداعي: ٢٠٩.

لا تشتهر وهو تعالى يقول: عليك ستره وعليَّ إظهاره، بل عليك التحفُّظ من قلبك أن لا يكون فيه ميل لمحبَّة ذلك بالتفكُّر في قلَّة الجدوى بمدحهم وذمِّهم والزُّهد فيهم، والنظر إلى احتياجك في عرصة القيامة إلى عملك، والفكر في نعيم الآخرة، فلا تترك العمل، فإنَّ الآفة كلُّ الآفة في ترك العمل، فإنَّ العمل مطردة للشيطان، وسبب الخشوع، وتنشُّط النفس، وتشوُّقها إلى عمل الآخرة، وترك العمل على الضدِّ من ذلك. فإن قلت: يمنعني عن الدعاء وعن كثير من الأفعال البرّ تعذُّر الإتيان بها على حقيقة الإخلاص على ما عرفت الإخلاص بقوله: ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتَّى لا يحبُّ أن يُحمَد على شيء من عمل الله، وإنَّ الإنسان يعمل لله مخلصًا، لكن إذا عرفه الناس ربَّما أثنى عليه بذلك، فيسرُّه ولا يكاد ينفكُّ عن هذا إلَّا فيما يقل، وكذا الإنسان يكون في الصلاة والدعاء مخلصًا الله سبحانه، فربما يطَّلع عليه مطَّلع فيسرُّه ذلك، وقد ذكرت أنَّ الرياء مع ما فيه من فوات الثواب، يؤدِّي إلى أليم العذاب. فاعلم أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن ذلك فيما رواه المفسِّرون عن سعيد بن جبير، قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنِّي أتصدَّق وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلَّا لله، فيُذكر منِّي، وأُحمَد عليه فيسرُّني ذلك وأُعجَب به، فسكت رسول ﷺ، ولم يقل شيئا، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]..»[2].

والتحقيق: أنَّ السرور باطِّلاع الناس إلى قسمَين، محمود ومذموم[3]:

المحمود ثلاثة:

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) أسباب نزول الآيات، الواحديّ النيسابوريّ (٤٦٨هـ): ٢٠٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مؤسَّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ: ١١/ ٧٠.

(٣) عدَّة الداعي: ٢١٠.

الأوَّل: أن يكون من قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله سبحانه، ولكن لما اطَّلع عليه الخلق علم أنَّ الله تعالى أطلعهم عليه، وأظهر لهم الجميل من عمله تكرُّمًا منه وتفضلًا، وهو من صفاته تعالى، إلَّا تراه يُدعَى: (يا مَن أظهر الجميل وسَتَر القبيح)، وفي بعض وحيه جلَّ جلاله: **عملك الصالح عليك ستره، وعليَّ إظهاره**، فيستدلُّ بذلك على حسن صنع الله به، ونظره له، ولطفه به، فإنَّ العبد يستر الطاعة والمعصية، والله بكرمه ستر المعصية، وأظهر الطاعة، ولا لطف أعظم من ستر القبيح، وإظهار الحسن، فيكون فرحه بجميل صنع الله، لا بحمد الناس وحصول المنزلة في قلوبهم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

توضيح الرِّياء[2]: والرياء موجِب للمقت من الله، ومعرض للخزي في الدنيا والآخرة، حيث ينادى عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد: «يا فاجر يا غادر يا مرائي، أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الحياة الدنيا، راقبت قلوب العباد، واستخففت بنظر سلطان المعاد، وتحبَّبت إلى المخلوقين بالتبغُّض إلى ربِّ العالمين، وتزَّينت لهم بعمل الله، وتقرَّبت إليهم بالبُعد من الله، وطلبت رضاهم، وتعرَّضت لسَخَطه، أمَا كان أهون عليك من الله؟ فمهما تفكَّر العبد في هذا الخزي، وقابل ما يحصل له من العباد، والتزيُّن لهم في الدنيا بما يهدم عليه من ثواب أعماله التي كانت ترجِّح ميزانه لو خلصت لله، وقد فسدت بالرياء، وقد حوِّلت إلى كفَّة السيِّئات، فلو لم يكن في الرياء إلَّا تحويل العمل من الثواب إلى العقاب، لكان كافيًا في معرفة ضرره، ورادعًا عن الإلمام به، وقد كان ينال بهذه الحسنة رتبة الصدِّيقين، وقد حطَّ إلى درك السافلين، فيالها حسرة لا تزال، وعثرة لا تستقال مع ما يناله من الخزي والتوبيخ في المعاد على رؤوس الأشهاد، مضافًا إلى ما يعرض له في الدنيا من تسبُّب الهمِّ بسبب ملاحظة قلوب الخلق،

(١) يونس: ٥٨.
(٢) عدَّة الداعي: ٢١١.

فـإنَّ رضا الناس غاية لا تُدرك، كلَّما رضي به فريق، يسـخط به فريق، ورضا بعضهم في سَخَط بعض، ومن طلب رضاهم في سَخَط الله، سَخَطَ الله عليه، وأسخطهم أيضًا عليه، ثـمَّ أي غرض له في مدحهم وإيثار ذمِّ الله تعالى لأجـل حمدهم؟ ولا يزيده حمدهم رزقًا ولا أجلًا، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته في شدَّة القيامة، وأمَّا الطمع بما في أيديهم، فالله هو الرزَّاق، وعطائه خير العطاء، ومَن طمع في الخلق لم يخلُ من الذلِّ والخيبة، وإن وصل إلى المراد، لم يخلُ من المنَّة والمهانة، وكيف يترك العاقل ما عند الله برجاءٍ كاذبٍ ووهمٍ فاسد؟ وقـد يصيب، وقد يُخطى، وإن أصاب فلا تقي لذَّته بألم منَّته ومذلَّته، وهو من قسـم الله له، ومحسـوب عليه من رزقه، فينبغي أن يقرِّر العاقل في نفسـه هذه الأسباب وضررها، ومـا يصـير إليه مآلها، فيُقلُّ رغبته عنهـا، ويُقبل إلى الله بقلبه، فـإنَّ العاقل لا يرغب فيما يكثـر عليـه ضرره، ويكفيه أنَّ الناس لو علمـوا ما في باطنه من قصـد الرياء، وإظهاره الإخلاص؛ لمَقتوه، وسيكشـف الله تعالى عن سرِّه حتَّى يبغضه إليهم، ويعرِّفهم أنَّه مُراءٍ ممقوت عند الله، ولو أخلص لله؛ لكشـف الله لهم إخلاصه، وحبَّبه إليهم، وسخَّرهم له، وأطلق ألسـنتهم بحمده. وينبغي أن يذكر شدَّة حاجته وقوَّة فاقته يوم القيامة إلى ثواب أعماله، فإنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[2]، ويشـتغل فيـه الصدِّيقون بأنفسـهم، ويقـول كلُّ واحدٍ: نفسي نفسي، فضلًا من غيرهم، فـلا ينبغي أن يصحب معـه غير الخالـص من العمل، فكما أنَّ المسـافر إلى البلد البعيد المشـفق لا يصحب معه إلَّا خالـص الذهب، طلبًا للخفَّة، وكثرة الانتفاع بـه عند الحاجة إليه، ولا حاجة أعظم مـن فاقة القيامة، ولا عمل أنفع من الخالص لله، فهو أنفس الذخائر وأحفظها حملًا، بل

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) لقمان: ٣٣.

هو يحمل صاحبه على ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(١).

يقول داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إن العمل الصالح ليمهِّد لصاحبه في الجنَّة كما لصاحبه عند أهوال القيامة: اركبني ولطالما ركبتك في الدنيا، فيركبه ويتخطَّى به شدايدها**»(٢)، وروى داوود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **إنَّ العمل الصالح ليمهِّد لصاحبه في الجنَّة، كما يرسل الرجل غلامه بفراشه، فيفرش له، ثمَّ قرأ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾**(٣)..(٤).

القسم الثاني: العجب(٥)

هنا سؤال وجواب: علاج العجب أن يتفكَّر فيما يؤدِّي إليه العجب، وهو يؤدِّي إلى المقت، وإحباط العمل، ويتفكَّر في الآت التي اكتسب بها الطاعة، واقتدر بها عليها، فهل هي إلَّا ملكه؟ ثمَّ ينظر فيما تناوله من القوت الذي أقام به صلبه، فهل هو إلَّا رزقه؟ ثمَّ ينظر في العافية التي هي له شاملة، وبها يفرغ لما أراده، هل هي إلَّا من نعمه؟ ولرُبَّ مريض لو خُيِّر بين العافية، وأن يقوم بإزائها أيَّاما وليالي، لاختار العافية، وبذل في ثمنها الليالي الكثيرة والعبادة الغزيرة، هذا وأنت تعجب بقيام بعض ليلة، وكم متِّعت بالعافية من يوم وليلة، بل من شهور وسنة، فبماذا تعجب بقيام بعض ليلة، وأنت تقوم بتوفيقه، وتتمكَّن بعافيته، وتتقوَّى برزقه، وتعمل بجوارحه وآلاته، ويقع ذلك في ليله ونهاره،

(١) الزمر: ٦١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٩١، والحديث: «وروى داوود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنَّ العمل الصالح ليمهِّد لصاحبه في الجنَّة، كما يرسل الرجل غلامًا بفراشه، فيفرش له، ثمَّ قرأ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾**.

(٣) الروم: ٤٤.

(٤) ينظر: مجمع الزوائد: ١٠/ ١٢١، وظ: بحار النوار: ٦٨/ ١٩١.

(٥) عدَّة الداعي: ٢٢٦.

فقِسْ قدر عملك إلى ما عليك من نِعَمِهِ، فهل تجده وافيًا بذلك؟ أو بعشر العشير، وهل توفيقك للقيام إلَّا نعمة عليك؟ يلزمك شكرها، وتخشى أن قصَّرت فيه أن تكون مؤاخذًا. أوحى الله إلى داوود: **يا داوود اشكرني**، قال: وكيف أشكرك يا ربِّ؟ والشكر من نعمك تستحق عليه شكرًا؟ قال: **يا داوود رضيت بهذا الاعتراف منك شكرًا**. بل قِس عملك جملته إلى آحاد ما تتصرَّف فيه من نِعَمِهِ من مأكل ومشرب، لا تجده ناهضًا باليسير من ذلك.

روي: «أنَّ بعض الوعَّاظ دخل يومًا على هارون الرشيد، فقال له: عِظني، فقال: يا أمير المؤمنين أتراك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بمَ كنت تشتريها؟ قال: بنصف مُلكي، فقال: يا أمير المؤمنين أتراها لو حُبِست عنك عند خروجها بمَ كنت تشتريها؟ قال: بنصف الباقي، قال: فلا يغرنَّك مُلك قيمته شربة ماء. فيا هذا كم تتناول في يومك وليلتك؟ وأنت ترى الأجير يعمل طول النهار بدرهَمين، والحارس يسهر جملة الليل بدانقَين، وكذلك أصحاب الصناعات والحِرف، كالطبَّاخ والخبَّاز، تراهم يعملون جملة النهار وطرفي الليل، وقيمة ذلك دراهم معدودة، وإذا صرفت الفعل إلى الله تعالى، فصُمت يومًا واحدًا، قال: الصوم لي وأنا أُجزي به، قال تبارك وتعالى: أعددت لعبادي ما لا عين رأت، ولا إذن سمعت، ولا خطر بقلب بشر. هذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم، صار له هذه القيمة بنسبته إلى الله. ولو قمت ليلةً لله تعالى، قال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، فهذا الذي قيمته دانقان، ولو سجدت لله سجدة حتَّى غشيك فيه النعاس، باهى الله بك الملائكة، وكم قيمة زمان السجدة؟ مع ما حصل فيها من النوم والغفلة، لكن لما نسبت إلى الحقِّ جلَّ جلاله بلغت قيمته من الجلالة والنفاسة هذا المقدار، بل لو جعلت لله

(١) السجدة: ١٧.

ساعة تصلِّي فيها ركعتين خفيفَتين، بل نَفَسًا تقول فيه: لا إله إلَّا الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن قال: سبحان الله، غرس الله له شجرة في الجنَّة**»[2].

في الأمور المانعة عن صعود الأعمال[3]

وقد روي أنَّه يبيت أحدكم نادمًا على ذنبه، زاريًا على نفسه، خير له من أن يصبح مبتهجًا بعمله، فعليك أيُّها العاقل بتحصين عملك من العجب والرياء والغيبة والكبر، فإنَّها يشاركان الرياء والعجب في الإضرار بالأعمال.

أوَّلا: تنظر إلى خبر معاذ: روى الشيخ أبو جعفر محمَّد بن أحمد بن عليّ القمِّيّ، نزيل الري، في كتابه المنبئ عن زهد النبيّ صلى الله عليه وآله، عن عبد الواحد عمَّن حدثه عن معاذ ابن جبل قال: قلت: «حدِّثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظته من دقَّة ما حدَّثك به قال: نعم، وبكى معاذ ثمَّ قال: بأبي وأمِّي، حدَّثني وإنا رديفه، فقال: بينا نسير إذ رفع بصره إلى السماء، فقال: **الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما أحبَّ**، ثمَّ قال: يا معاذ قلت: لبَّيك يا رسول الله وسيِّد المؤمنين، قال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله إمام الخير ونبي الرحمة، فقال: **أحدِّثك شيئًا ما حدَّث به نبيّ أمَّته، إن حفظته نفعك عيشك، وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجَّتك عند الله**، ثمَّ قال: **إنَّ الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات، فجعل في كلِّ سماء ملكًا قد جلَّلها بعظمته، وجعل على كلِّ بابٍ من أبواب السماوات ملكًا بوَّابًا، فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يُصبح**

(١) النساء: ١٢٤.

(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ): ٣٥٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

(٣) عدَّة الداعي: ٢٢٧.

إلى حين يُمسي، ثمَّ ترتفع الحفظة بعمله، وله نور كنور الشمس، حتَّى إذا بلغ سماء الدنيا، فتزكِّيه وتكثره، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الغيبة، فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، أمرني بذلك ربِّي. قالﷺ: ثمَّ تجيء الحفظة من الغد ومعهم عمل صالح، فتمرُّ به فتزكِّيه وتكثره حتَّى تبلغ السماء الثانية، فيقول الملك الذي في السماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنَّما أراد بهذا عرض الدنيا، أنا صاحب الدنيا، لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، قال: ثمَّ تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا بصدقة وصلاة، فتعجب به الحفظة، وتجاوز به إلى السماء الثالثة، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره، انا ملك صاحب الكبر، فيقول: إنَّه عمل وتكبَّر على الناس في مجالسهم، أمرني ربِّي إن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرِّيّ في السماء له دوى بالتسبيح والصوم والحجّ، فتمُّر به إلى السماء الرابعة، فيقول له الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه، أنا ملك العجب، إنَّه كان يعجب بنفسه، إنَّه عمل وأدخل نفسه العجب، أمرني ربِّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها، فتمرُّ به إلى ملك ا لسماء الخامسة بالجهاد والصلاة (والصدقة) ما بين الصلاتَين، ولذلك العمل رنين كرنين الإبل، عليه ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: قفوا أنا ملك الحسد، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واحملوه على عاتقه، إنَّه كان يحسد من يتعلَّم أو يعمل لله بطاعته، وإذا رأى لأحد فضلًا في العمل والعبادة حسده ووقع فيه، فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة، فيتجاوزون به إلى السماء السادسة، فيقول الملك: قفوا أنا صاحب الرحمة، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واطمسوا عينيه؛ لأنَّ صاحبه لم يرحم شيئا إذا أصاب عبدًا من عباد الله، ذنبٌ للآخرة أو ضرٌّ في الدنيا شمت به، أمرني به ربِّي أن لا أدع عمله يجاوزني، قال: وتصعد

الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد وورع، وله صوت كالرعد، وضوء كضوء البرق، ومعه ثلاثة آلاف ملك، فتمرُّ به إلى ملك السماء السابعة، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الحجاب، أحجب كلَّ عملٍ ليس لله، إنَّه أراد رفعةً عند القُوَّاد، وذكرًا في المجالس، وصيتًا في المدائن، أمرني ربِّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، ما لم يكن لله خالصًا، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا به من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وحسن الخلق وصمت وذكر كثير، تشيِّعه ملائكة السماوات والملائكة السبعة بجماعتهم، فيطؤون الحجب كلَّها، حتَّى يقوموا بين يديه سبحانه، فشهدوا له بعمل ودعاء، فيقول: أنتم حفظة عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إنَّه لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي، فيقول الملائكة: عليه لعنتك ولعنتنا، قال: ثمَّ بكى معاذ، قال: قلت: يا رسول الله ما أعمل وأخلص فيه؟ قال: اقتَد بنبيِّك يا معاذ في اليقين، قال: قلت: أنت رسول الله وأنا معاذ، قال: وإن كان في عملك تقصير يا معاذ، فاقطع لسانك عن إخوانك، وعن حملة القرآن، ولتكن ذنوبك عليك، لا تحملها على إخوانك، ولا تزكِّ نفسك بتذميم إخوانك، ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراءِ بعملك، ولا تدخل من الدنيا في الآخرة، ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك لسوء خلقك، ولا تناج مع رجل، وأنت مع آخر، ولا تعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا، ولا تمزِّق الناس فتمزِّقك كلاب أهل النار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾[1]، أتدري ما الناشطات؟ إنَّها كلاب أهل النار، تنشط اللحم والعظم. قلت: ومَن يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ إنَّه يسير على من يسره الله تعالى عليه. قال: وما رأيت معاذًا يكثر تلاوة القرآن كما يكثر تلاوة هذا الحديث»[2].

(١) النازعات: ٢.

(٢) الموضوعات، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ): ٣/ ١٥٥، تحقيق وضبط وتقديم: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، المكتبة السلفيَّة، المدينة المنوَّرة، فلاح السائل، ابن طاووس=

في الحثِّ على الذِّكر بالدليل النقليّ والعقليّ[1]

فيما أُلحق بالدعاء، وهو الذِّكر، ولـمَّا كان المقصود من هذا الكتاب التنبيه على فضل الدعاء والإشارة إلى ما يستظهر به الداعي، واشتمل من ذلك على نبذة مقنعة وجملة كافية، أجبنا أن نردف ذلك بما يساوي الدعاء في الفضل والتحثيث عليه، وقيامه مقامه في تحصيل المراد ودفع الأهوال الشِّداد، وهو الذِّكر، وقد ظهر ممَّا ذكرناه من فوائد الدعاء أنَّه يبعث عليه العقل والنقل من الكتاب والسنَّة، وأنَّه يرفع البلاء الحاصل، ويدفع السوء النازل، ويحصل به المراد من جلب النفع وتقرير الحاصل منه ودوامه، فاشتمل الذِّكر على كلِّ هذه الأمور، وسترى ذلك فيما نبيِّنه، فنقول: الذِّكر محثوثٌ عليه، ومرغوبٌ فيه، ويدلُّ عليه العقل والنقل.

أمَّا الكتاب، فآيات، منها قوله تعالى لنبيِّه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5].

=(٦٦٤هـ): ١٢٢.

(١) عدَّة الداعي: ٢٣١.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) الأعراف: ٢٠٥.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) الأحزاب: ٤١-٤٢.

وهذه الرواية ضمَّت آيات من الذكر الحكيم، تحت النقطة، **الخامس**: «روى ابن القدَّاح، عنه عليه السلام: **ما من شيء إلَّا وله حدٌّ ينتهي إليه، إلَّا الذِّكر فليس له حدٌّ ينتهي إليه، فرض الله الفرائض، فمن أدَّاهنَّ فهو حدُّهنَّ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدُّه، والحجُّ، فمن حجَّ فهو حدُّه، إلَّا الذِّكر فإنَّ الله لم يرضَ فيه بالقليل، ولم يجعل له حدًّا ينتهي إليه**، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[1]. فلم يجعل الله له حدًّا ينتهي إليه، قال: وكان أبي كثير الذِّكر، لقد كنت أمشي معه، وإنَّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام، وإنَّه ليذكر الله، ولو كان يحدِّث القوم، ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لاصقًا بحنكه، يقول: لا إله إلَّا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذِّكر حتَّى تطلع الشمس، وكان يأمر بالقراءة مَن كان يقرأ منَّا، ومن كان لا يقرأ منَّا أمره بالذِّكر»[2]..

السابع عشر: «رويَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه، فقال: **ارتعوا في رياض الجنَّة**، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنَّة؟ قال: **مجالس الذِّكر، اغدوا وروِّحوا واذكروا، ومَن كان يحبُّ أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله تعالى يُنزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذِكر الله سبحانه، فإنَّه أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذَكَرني، وقال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3] بنعمتي، واذكروني بالطاعة والعبادة، أذكركم بالنِّعم والإحسان والرحمة والرضوان**»[4].

(١) الأحزاب: ٤١-٤٢.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٩٨.
(٣) سورة البقرة: ١٥٢.
(٤) شفاء السقام، تقي الدين السبكيّ (٧٥٦هـ): ١٦٩، ط٤، ١٤١٩هـ، أعلام الدين في صفات=

فصل: ولا ينبغي أن يخلو للإنسان مجلس عن ذكر الله ويقوم منه بغير ذكر[1]

وروى «أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: **ما اجتمع قومٌ في مجلس لم يذكروا الله لم يذكرونا، إلَّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة**»[2]، ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: «**إنَّ ذِكرنا من ذِكر الله، وذِكر عدونا من ذِكر الشيطان**»[3]، وعنه عليه السلام: «**من أراد أن يكتال بالمكيال إلَّا وفى، فليقل إذا أراد القيام من مجلسه:** ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4]..»[5]. وروى الحسن بن أبي الحسن الديلميّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الملائكة يمرُّون على حلق الذِّكر، فيقومون على رؤوسهم، ويبكون لبكائهم، ويأمنون لدعائهم، فإذا صعدوا السماء يقول الله تعالى: يا ملائكتي أين كنتم؟ وهو أعلم، فيقولون: يا ربَّنا إنَّا حضرنا مجلسًا من مجالس الذِّكر، فرأينا أقوامًا يسبِّحونك ويمجِّدونك ويقدِّسونك ويخافون نارك، فيقول الله سبحانه: يا ملائكتي أزووها عنهم، وأُشهدكم أنِّي قد غفرت لهم وآمنتهم ممَّا يخافون، فيقولون: ربَّنا إنَّ فيهم فلانًا،**

=المؤمنين، الديلميّ: ٢٧٥، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٦٠٦هـ): ١/ ١٨٧، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحيّ، ط٤، ١٣٦٤ش، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران، تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: ١١٤.

(١) عدَّة الداعي: ٢٤١.

(٢) مسند أحمد: ٢/ ٤٤٦.

(٣) الكافي: ٢/ ١٨٦.

(٤) الصافَّات: ١٨٠-١٨١.

(٥) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ): ٣/ ٤٥٥، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، محرَّم ١٤١٩هـ، مطبعة ستاره، قم، قرب الإسناد، الحميريّ القمِّيّ (٣٠٠هـ): ٣٣، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٣هـ، مطبعة مهر، قم، الكافي: ٢/ ٤٩٦، من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢٥، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠٤، تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسيّ: ٣/ ١٨١، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢١هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، مجمع البيان: ٨/ ٣٣٩، تفسير السمعانيّ: ٤/ ٤٢٢.

وإنَّه لم يذكرك، فيقول: قد غفرت له بمجالسته لهم، فإنَّ الذاكرين مَن لا يشقى بهم جليسهم»[1].

فصل: ويتأكَّد استحباب الذِّكر إذا كان في الغافلين تحصينًا من قارعة ينزل بهم، فينجوا بذكره، ولعلَّهم ينجون به[2].

فصل: وأفضل أوقاته عند الإصباح والإمساء، وبعد الصبح والعصر[3]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة، وبعد العصر، ساعة أكفك ما أهمَّك**»[4]. وقال الباقر عليه السلام: «**إنَّ إبليس عليه لعاين الله يبثُّ جنود الليل من حين تغيب الشمس، وحين تطلع، فأكثر واذكر الله حين هاتَين الساعتين، وتعوَّذوا بالله من شرِّ إبليس وجنوده، وعوِّذوا صغاركم في تلك الساعتين؛ فإنَّها ساعتا غفلة**»[5]، وقال الصادق عليه السلام: «في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ (٨٨٠هـ): ٤/ ٦٨، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة سيِّد الشهداء، قم، مسند أحمد: ٢/ ٢٥٢، صحيح البخاريّ: ٧/ ١٦٩، صحيح مسلم: ٨/ ٦٨، مستدرك الحاكم: ١/ ٤٩٥، مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠/ ٧٦، فتح الباري، ابن حجر (٨٥٢هـ): ١١/ ١٧٩، ط٢، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، عمدة القاري: ٢٣/ ٢٧، الدعاء، الطبرانيّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، التمهيد، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ): ١٩/ ١١٥، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمَّد عبد الكبير البكريّ، ١٣٨٧هـ، مطبعة المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة.

(٢) عدَّة الداعي: ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٢.

(٤) ثواب الأعمال، الصدوق: ٤٧، الأمالي، الصدوق: ٣٩٨، تهذيب الأحكام، الطوسيّ: ٢/ ١٣٨، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠١.

(٥) الكافي: ٢/ ٥٢٢، من لايحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٥٠٢، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠٥.

وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[1]، قال: **هو الدعاء قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وهي ساعة إجابة**»[2]

فصل: ويستحبُّ الإسرار بالذِّكر؛ لأنَّه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء[3].

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر أذكر الله ذكرا خاملا**. قلت: ما الخامل؟ قال: **الخفي**»[4]. وقال أمير المؤمنين: «**مَن ذكر الله في السرِّ، فقد ذكر الله كثيرًا، إنَّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية، ولا يذكرونه في السرِّ، فقال الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾**[5]..»[6]. وقال الصادق عليه السلام: «**قال الله تعالى: من ذكرني سرًّا، ذكرته علانية**»[7]. وروى زرارة عن أحدهما عليهما السلام، قال: «**لا يكتب الملك إلاَّ ما سمع، وقال الله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾**[8]، **فلا يعلم ثواب ذلك الذِّكر في نفس الرجل غير الله؛ لعظمته**»[9].

(١) الرعد: ١٥.
(٢) الكافي: ٢/ ٥٢٢
(٣) عدَّة الداعي: ٢٤٣.
(٤) الأمالي، الطوسيّ: ٥٣٠، الفايق في غريب الحديث، جار الله الزمخشريّ (٥٣٨هـ): ١/ ٣٤٥، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، النهاية، ابن الاثير: ٢/ ٨٣.
(٥) النساء: ١٤٢.
(٦) الدعوات قطب الدين الراونديّ: ٢٠، الكافي: ٢/ ٥٠١، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤٠٩.
(٧) الكافي: ٢/ ٥٠١.
(٨) الأعراف: ٢٠٥.
(٩) الكافي: ٢/ ٥٠٢، كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفيّ (ق٣هـ): ٥٤، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، ١٣٩٩هـ، المطبعة العلميَّة، قم، تفسير العيَّاشيّ، محمَّد بن مسعود (٣٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران.

روي أنَّ رسول الله ﷺ «كان في غزاة، فأشرفوا على وادٍ، فجعل الناس يهلِّلون ويكبِّرون ويرفعون أصواتهم، فقال ﷺ: **يا أيُّها الناس أربعوا على أنفسكم، أمَّا أنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، وإنَّما تدعون سميعًا قريبًا معكم**»(١).

فصل: وينقسم الذِّكر أقسامًا(٢):

فمنه التحميد: روى سعيد القمَّاط عن الفضل، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، علِّمني دعاءً جامعًا، فقال لي: **احمد الله فإنَّه لا يبقى أحد يصلِّي إلَّا دعا لك، يقول: سمع الله لمن حمده**»(٣). وروي عن النبيّ ﷺ: «**كلُّ كلامٍ لا يبدأ فيه بالحمد، فهو أقطع**»(٤). وروى أبو مسعود عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَن قال أربع مرَّات إذا أصبح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥)، فقد أدَّى شُكر يومه، ومن قالها إذا أمسى، فقد أدَّى شُكر ليلته**»(٦).

(١) المجموع، محيى الدين النوويّ (٦٧٦هـ): ٣/ ٤٨٧، دار الفكر، مسند أحمد: ٤/ ٣٩٤، صحيح البخاريّ: ٤/ ١٦، صحيح مسلم: ٨/ ٧٣، سنن أبي داوود: ١/ ٣٤١، سنن البيهقيّ: ٢/ ١٨٤، شرح مسلم، النوويّ: ١٧/ ٢٥، المصنَّف، ابن أبي شيبة: ٢/ ٣٧٢، السنن الكبرى للنسائيّ: ٤/ ٣٩٨، مسند أبي يعلى الموصليّ (٣٠٧هـ): ١٣/ ٢٣١، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المأمون للتراث، الأذكار النوويَّة، يحيى بن شرف النوويّ (٦٧٦هـ): ٢٢٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) عدَّة الداعي ابن فهد الحِلّيّ: ٢٤٥.

(٣) الكافي: ٢/ ٥٠٣.

(٤) المجموع- النووي: ١/ ٧٣، الأذكار النووية، يحيى بن شرف النووي: ١١٢، شرح مسلم- النووي: ١/ ٤٣.

(٥) الحمد: ٢.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٣، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٣، مكارم الأخلاق: ٣٠٨، سنن أبي داوود: ٢/ ٤٩٢، الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/ ٩٦٢، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي: ٣٦٠.

وعن الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن قال (الحمد لله كما هو أهله)؛ فقد شغل كتَّاب السماوات، فيقولون: اللهمَّ لا نعلم الغيب، فيقول الله: اكتبوها كما قالها عبدي، وعليَّ ثوابها»[1].

ومنه التسبيح والتحميد[2]: عن الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان، والتحميد يملأ الميزان، و(لا إله إلَّا الله والله أكبر)، (والله أكبر) يملأ ما بين السماوات والأرض»[3].

ومنه التسبيحات الأربع[4]: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يغرس غرسًا في حائطٍ له، فوقف عليه وقال: ألا أدلُّك على غرسٍ أثبتُ أصلًا، وأسرع إيناعًا، وأطيب ثمرًا وأبقى؟ قال: فدُلَّني يا رسول الله، فقال: إذا أصبحت وأمسيت، فقُل: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر)؛ فإنَّ لك بذلك إن قلته بكلِّ تسبيحة عشر شجرات في الجنَّة من أنواع الفاكهة، وهنَّ من الباقيات الصالحات. قال: فقال الرجل فأنِّي أُشهدك يا رسول الله أن حايطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى آيات من القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[5].. [6].

روى محمَّد بن خالد البرقيّ عن الصادق عن أبيه عن جدِّه عليهم السلام، قال: «قال رسول

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ١٣، مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسيّ: ٣٠٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٦٠.

(٢) عدَّة الداعي: ٢٤٧.

(٣) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٥٤، الكافي: ٢/ ٥٠٦، مسند أحمد: ٥/ ٣٦٣، سنن الترمذيّ: ٥/ ١٩٧.

(٤) عدَّة الداعي: ٢٤٩.

(٥) الليل: ٥-٧.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٦، الأمالي، للصدوق: ٢٧٠.

الله ﷺ: مَن قال: (سبحان الله) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة، ومن قال (الحمد لله) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة، ومن قال (لا إله إلَّا الله) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة، ومن قال (الله أكبر) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة. فقال له رجل من قريش: إذًا شجرنا في الجنَّة لكثير، قال ﷺ: نعم ولكن إيَّاكم أن ترسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها، وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1]»..[2].

وعنه عليه السلام «أنَّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: أرأيتم لو جمعتهم ما عندكم من الثياب والآنية والأمتعة، ثمَّ وضعتم بعضه على بعض، أكنتم ترون أنَّه يبلغ السماء؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: أفلا أدلُّكم على شيء أصله في الأرض وفرعه في السماء؟ قالوا: بلى. قال: يقول أحدكم إذا فرغ من الفريضة: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر) ثلاثين مرَّة، فإنَّ أصلهنَّ في الأرض، وفرعهنَّ في السماء، وهنَّ يدفعن (الهمَّ) والهدم والحرق والغرق والتردِّي في البئر وأكل السبع وميتة السوء والبليَّة التي تنزل من السماء في ذلك اليوم على العبد، وهنَّ الباقيات الصالحات»[3]. وروى حمَّاد ابن عثمان عن جعفر بن محمَّد عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لمَّا أُسريَ بي إلى السماء، دخلت الجنَّة، فرأيت فيها قيعانًا يققًا من مسك، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة ذهب ولبنة فضَّة، وربَّما أمسكوا، فقلت لهم: مالكم ربَّما بنيتم وربَّما أمسكتم؟ فقالوا أمسكنا حتَّى تجيئنا النفقة، قلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر)، وإذا قالهنَّ بنينا، وإذا سكت وأمسك أمسكنا»[4].

(١) محمَّد: ٣٣.
(٢) الأمالي، للصدوق: ٧٥٠، ثواب الأعمال، الصدوق: ١١.
(٣) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ١٢، معاني الأخبار، الصدوق: ٣٢٤، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠٦، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٥٩.
(٤) الأمالي، الطوسيّ: ٤٧٤.

ومنه الاستغفار[1]: روى السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الدعاء الاستغفار**»[2]. وقال عليه السلام: «**إنَّ للقلوب صداء كصداء النحاس، فأجلوها بالاستغفار**»[3]. وقال عليه السلام: «**مَن أكثر الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيق مخرجًا، ورزَقَه من حيث لا يحتسب**»[4]. وروى زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إذا أكثر العبد من الاستغفار، رُفعت صحيفته وهي تتلألأ**»[5]. وعن الرضا عليه السلام: «**مَثل الاستغفار مَثل ورقة على شجرة تحرَّك فتناثر، والمستغفر من ذنبٍ وهو يفعله؛ كالمستهزئ بربِّه**»[6]. وقال عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقوم من مجلس، وإن خفَّ، حتَّى يستغفر الله خمسًا وعشرين مرَّة**»[7]. وعنه عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله غداة كلِّ يوم سبعين مرَّة، ويتوب إلى الله سبعين مرَّة**، قلت: وكيف كان يقول: (استغفر الله وأتوب إليه)؟ فقال عليه السلام: **كان يقول (استغفر الله) سبعين مرَّة، ويقول (أتوب إلى الله) سبعين مرَّة**»[8].

(١) عدَّة الداعي: ٢٤٧.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٠٤.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٩٣.

(٤) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٨٦، مسند أحمد: ١/ ٢٤٨، سنن ابن ماجه: ٢/ ١٢٥٥، مستدرك الحاكم: ٤/ ٢٦٢، السنن الكبرى، البيهقيّ: ٣/ ٣٥١، السنن الكبرى، النسائيّ: ٦/ ١١٨.

(٥) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣١٣، مشكاة الأنوار، الطبرسيّ (ق٧هـ): ٢٠١، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة دار الحديث.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٤، الحديث: «عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ياسر، عن الرضا عليه السلام قال: **مَثَل الاستغفار مَثَل ورق على شجرة تحرَّك فيتناثر، والمستغفر من ذنبٍ ويفعله كالمستهزئ بربِّه**»، وظ: الوسائل: ٧/ ١٧٦، وظ: البحار: ٩٠/ ٢٨٥.

(٧) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣١٣.

(٨) البحار: ٨٣/ ٢٩٧.

وعنه عليه السلام: «الاستغفار وقول (لا إله إلّا الله) خير العبادة، قال الله العزيز الجبّار: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[1]»[2].

يقسِّم المصنِّف تحت عنوان **فصل في الاستشفاء بالدعاء والاسترقاء**، وهو على أقسام[3]، والذي يهمُّنا هو:

الأوَّل: لدفع العلل

وهي أدعية:

الأوَّل: روى أبو نجران، وابن فضال عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان يقول عند العلة (اللهم انك قد عيرت أقواما فقلت ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾[4]، فيا من لا يملك كشف ضرّي، ولا تحويله عنّي أحد غيرك صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، واكشف ضرّي وحوِّله إلى مَن يدعو معك إلهًا آخر، لا إله غيرك)**»[5].

والرابع: يونس بن عمَّار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، هذا الذي ظهر بوجهي يزعم الناس أنَّ الله لم يبتَلِ به عبدًا له فيه حاجة، فقال لي: **قد كان مؤمن**

(١) محمَّد: ١٩.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٠٥، والحديث (أبو عليّ الأشعريّ، عن محمَّد بن عبد الجبَّار، عن صفوان ابن يحيى، عن حسين بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الاستغفار وقولُ: لا إله إلّا الله، خير العبادة، قال الله العزيز الجبار: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾**، وظ: الوسائل: ٧/ ١٨٠، البحار: ٩٠/ ١٩٥.

(٣) عدَّة الداعي: ٢٥٦.

(٤) الإسراء: ٥٦.

(٥) الدعوات، الراونديّ: ١٩٠، الكافي: ٢/ ٥٦٤.

آل فرعون مكنَّع الأصابع، وكان يقول هكذا، ويمد يده ويقول: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]. قال: ثمَّ قال عليه السلام لي: إذا كان الثلث الأخير من الليل في أوَّله، فتوضَّأ وقُم إلى صلاتك التي تصلِّيها، فإذا كنت في السجدة الأخيرة من الرَّكعتَين الأوَّليَّين، فقل وأنت ساجد: (يا عليُّ يا عظيم يا رحمن يا رحيم يا سامع الدعوات يا معطي الخيرات صلِّ على محمَّد وآل محمَّد وأعطني من خير الدنيا والآخرة ما أنت أهله، واصرف عنِّي من شرِّ الدنيا والآخرة ما أنت أهله، وأذهِب عنِّي هذا الوجع؛ فإنَّه قد أغاظني وأحزنني)، والح في الدعاء، قال: فما وصلت إلى الكوفة حتَّى أذهب الله به عنِّي كلّه»[2].

الباب السادس: في تلاوة القرآن[3]

وهو قسم من أقسام الذِّكر، وقائم مقام الذِّكر والدعاء في كلِّ ما اشتملا عليه من الحثِّ والترغيب، واستجلاب المنافع، ودفع المضار، وسترى ذلك فيما يأتي، وزاد عليهما شرفًا بأمور:

الأوَّل: كونه كلام الله.

الثاني: إنَّ فيه الاسم الأعظم.

الثالث: إنَّه ينبوع العلم.

الرابع: إنَّ تلاوته والإكثار منها نشر لمعجزة الرسول صلى الله عليه وآله، وإبقاء لها على التواتر.

(١) يس: ٢٠.
(٢) الكافي: ٢/ ٥٦٤
(٣) عدَّة الداعي: ٢٦٧.

الخامس: حصول الثواب على كلِّ حرفٍ منه[1]

فصل: واعلم أنَّ في القرآن الترياق الأكبر، والكبريت الأحمر، والخواص الغريبة، والمعجزات العجيبة، ولا يمثَّل بالطود الأشمِّ، بل هو أفخم، ولا بالبحر الخضمِّ، بل هو أعظم، فهو إن نظرت إلى المواعظ والزواجر، فمنه يأخذ الخطيب المصقع والواعظ المبلغ، وإن نظرت إلى الأحكام ومعالم الحلال والحرام، فمِن بحره يغترف الفقيه الحاذق والمفتي الصادق، وإن نظرت إلى البلاغة والفصاحة، فمنه يأخذ البلغاء، وبتوجيه معانيه ومعرفة أساليبه ومبانيه يفتخر الأديب الكاسر والكيِّس الماهر، وما عسى أن يقول فيه المادحون، ويثني عليه المثنون بعد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[3]، وإن نظرت إلى الاستشفاء والاسترقاء، وفيه الشفاء والدواء، وهو سبيل إلى الكفاية والغناء، ووسيلة إلى الإجابة والدعاء، وسنبيِّن ذلك، وينقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: الاستشفاء من العلل، ولنورد منه شيئًا يسيرًا لأجل الاستشهاد على ما ادَّعيناه، إذ كثيره كثير يعجز عنه غير النبيّ صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام، الذين هم تراجمة وحي الله تعالى.

الأوَّل: «قال الصادق جعفر بن محمَّد عن آبائه عليهم السلام، يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: أنَّه شكا إليه وجعًا في صدره، فقال عليه السلام: **استشفِ بالقرآن، فإنَّ الله عزّ وجلّ يقول**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

(١) عدّة الداعي: ٢٧٤.
(٢) الاعراف: ١٨٥.
(٣) الأنعام: ٣٨.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]»..[2].

القسم الثاني: في الاستكفاء، وهو كثير؛ فلنقتصر منه على يسير[3]:

الأوَّل: روى الحسين بن أحمد المنقريّ، قال: «سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: **مَن استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كُفي، إذا كان له يقين**»[4].

الثاني: المفضَّل بن عمر، عنه عليه السلام قال: «**يا مفضَّل احتجب من الناس كلِّهم بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[5]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[6]، اقرأها عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ومن خلقك، ومن تحتك، ومن فوقك، وإذا دخلت على سلطان جاير حين تنظر إليه فاقرأها ثلاث مرَّات، واعقد بيدك اليسرى ثمَّ لا تفارقها حتَّى تخرج من عنده**»[7].

الثالث: للحفظ من السرَّاق، يقرأ حين يأوي إلى فراشه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[8].. إلى آخر السورة، وردت به الرواية عن عليّ عليه السلام: وعنهم عليهم السلام: «**من قرأ هاتين الآيتين حين يأخذ مضجعه لم يزل في حفظ الله تعالى من كل شيطان مريد وجبار عنيد إلى أن يُصبح**»[9].

(١) يونس: ٥٧.
(٢) الكافي: ٢/ ٦٠٠، تفسير العيَّاشيّ: ٢/ ١٢٤.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٧٥.
(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٦٣.
(٥) الآية الأولى في القرآن الكريم.
(٦) الإخلاص: ١.
(٧) الكافي: ٢/ ٦٢٤.
(٨) الإسراء: ١١٠.
(٩) الكافي: ٢/ ٥٠٣، والحديث: «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، والحسين بن محمَّد، عن أحمد بن=

الرابع: قراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1] على ما يدَّخر ويخبِّئ حرز له، وردت بذلك الرواية عنهم عليهم السلام.

الخامس: للحفظ من الشيطان، إذا اخذ مضجعه، يقرأ آية السخرة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

روي: «أنَّ رجلا تعلَّم ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثمَّ مضى، فإذا هو بقريةٍ خراب، فبات فيها، ولم يقرأ هذه الأشياء، فتغشَّاه الشياطين، فإذا هو آخذ بلحيته، فقال له

=إسحاق، جميعا عن بكر بن محمَّد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرَّات: **الحمد لله الذي علا فقهر والحمد لله الذي بطن فخبر والحمد لله الذي ملك فقدر والحمد لله الذي يحيي الموتى ويميت الاحياء وهو على كل شئ قدير. خرج من الذنوب كهيئة يوم ولدته أمه**»، وظ: من لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧٠، تهذيب الأحكام، الطوسيّ: ٢/ ١١٧، الوسائل: ٦/ ٢٢٦، البحار: ٧٣/ ١٩٢.

(١) القدر: ١.

(٢) يونس: ٣-١٠.

صاحبه: أنظره، فاستيقظ الرجل، فقرأ هذه الآية، فقال الشيطان لصاحبه: أرغمَ الله أنفك، احرسه الآن حتَّى يُصبح. فلَّما رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأخبره وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس، فإذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعًا في الأرض»[1].

السادس: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**من قرأ أربع آيات من أوَّل البقرة، وآية الكرسيّ، وآيتَين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم يرَ في نفسه وماله شيئًا يكرهه، ولا يقربه شيطان، ولا ينسى القرآن**»[2].

السابع: عن الصادق عليه السلام: «**مَن دخل على سلطان يخافه فقرأ عندما يقابله (كهيعص)، ويضمُّ يده اليمنى، كلَّما قرأ حرفًا ضمَّ إصبعًا، ثمَّ يقرأ (حمعسق)، ويضمُّ أصابع يده اليسرى كذلك، ثمَّ يقرأ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[3]، ويفتحهما في وجهه كُفِي شرَّه**»[4].

الثامن: عن أبي الحسن عليه السلام: «**إذا خفت أمرًا فاقرأ مئة آية من القرآن من حيث شئت، ثمَّ قُل: (اللهمَّ ادفع عنِّي البلاء) ثلاث مرَّات**»[5].

التاسع: «حدَّث أبو عمران موسى بن عمران الكسرويّ، قال: حدَّثنا عبد الله ابن كلب قال: حدَّثني منصور بن العبَّاس عن سعد بن جناح عن سليمان بن جعفر الجعفريّ، عن الرِّضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام، قال: **دخل أبو المنذر هشام السائب الكلبيّ على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: أنت الذي تفسِّر القرآن؟ قال: قلت: نعم، قال: أخبرني عن قول**

(١) الكافي: ٢/ ٦٢٦.
(٢) الكافي: ٢/ ٦٢١، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٤.
(٣) طه: ١١١.
(٤) الكافي: ٢/ ٦٢٦.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٢١، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٧.

الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[1]، ما ذلك القرآن الذي كان إذا قرأه رسول الله ﷺ حُجِب عنهم؟ قلت: لا أدري. قال: فكيف؟ قلت إنَّك تفسِّر القرآن؟ قلت: يا بن رسول الله إن رأيت أن تنعم عليَّ وتعلِّمنيهن، قال عليه السلام: آية في الكهف، وآية في النحل، وآية في الجاثية، وهي: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وفي النحل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[3]، وفي الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[4].

قال الكسروي: فعلَّمتها رجلًا من أهل همدان كانت الديلم أسرته، فمكث فيهم عشرين سنة، ثمَّ ذكر الثلاث آيات، قال: فجعلت أمرُّ على محالِّهم وعلى مراصدهم، فلا يروني، ولا يقولون شيئًا، حتَّى خرجت إلى أرض الإسلام.

قال أبو المنذر: وعلَّمتها قومًا خرجوا في سفينة من الكوفة إلى بغداد، وخرج معهم سبع سفن، فقطع على ستَّة، وسلمت السفينة التي قرأ فيها هذه الآيات: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾، وفي الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾..»[5].

(١) الإسراء: ٤٥.
(٢) الجاثية: ٢٣.
(٣) النحل: ١٠٨.
(٤) الكهف: ٥٧.
(٥) عدَّة الداعي: ٢٧٧.

وروي أيضًا: «إنَّ الرجل المسؤول عن هذه الآيات، ما هي من القرآن؟ هو الخضر عليه السلام: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]، وفي الكهف: وفي الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[2].. [3].

العاشر: لحلِّ المربوط، يكتب في رقعة ويعلَّق عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[4]، ثمَّ يكتب سورة النصر، ثمَّ يكتب: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، و﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[6]، و﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[7]، و﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[8]، و﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[9]، كذلك حَلَلت فلان بن فلانة عن فلانة

(١) النحل: ١٠٨.
(٢) الكهف: ٥٧.
(٣) بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٨٤.
(٤) الفتح: ١-٢.
(٥) الروم: ٢١.
(٦) المائدة: ٢٣.
(٧) القمر: ١١-١٢.
(٨) طه: ٢٥-٢٨.
(٩) الكهف: ٩٩.

بنت فلانة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2].

القسم الثالث: فيما يتعلّق بإجابة الدعاء، وكلُّ القرآن صالح لإجابة الدعاء بعده[3]

وقد تقدَّم ذِكر ذلك في آداب الدعاء ويتأكَّد منه مواضع، فلنذكر بعضها:

الأوَّل: «روى جعفر بن محمَّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمَّا أراد الله عزّ وجلّ أن ينزل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]، إلى قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6]، تعلَّقن بالعرش، وليس بينهنَّ وبين الله حجاب، فقلن: يا ربِّ تهبطنا إلى دار الذنوب، وإلى من يعصيك، ونحن بالطهور والقدس متعلِّقات. فقال سبحانه: وعزَّتي وجلالي، ما من عبد قرأكنَّ في دبر كلِّ صلاة، إلَّا أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه، وإلَّا نظرت إليه بعيني المكنونة في كلِّ يوم سبعين نظرة، وإلَّا قضيت له في كلِّ يوم سبعين حاجة، أدناها المغفرة، وإلَّا

(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) التوبة: ١٢٩.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٧٩.
(٤) آل عمران: ١٨.
(٥) آل عمران: ٢٦.
(٦) آل عمران: ٢٧.

أعذته من كلِّ عدوٍّ ونصرته عليه، ولا يمنعه دخول الجنة إلَّا الموت»[1].

الثاني: رأيت في بعض الروايات أنَّ الدعاء بعد قراءة الجحد عشر مرَّات عند طلوع الشمس من يوم الجمعة مُستجاب.

الثالث: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من قرأ مائة آية من أي آيِ القرآن شاء، ثمَّ قال: (يا الله) سبع مرَّة، فلو دعا على صخرة لفلقها الله تعالى»[2].

فصل في خواص متفرِّقة

الأول: درست عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عند النوم، وقي فتنة القبر»[3].

الثاني: عن الصادق عليه السلام: «وقع مصحف في البحر، فوجدوه وقد ذهب ما فيه إلَّا هذه الآية ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[4]»[5].

الثالث: «سُئل الصادق عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أم شيء واحد؟ فقال: القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به»[6].

الرابع: «أوَّل ما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربِّك)، وآخره (إذا جاء نصر الله والفتح)»[7].

(١) الكافي: ٢/ ٦٢٠، مجمع البيان: ٢/ ٢٦٧،تفسير القرطبيّ: ٤/ ٥٢.
(٢) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٤٥.
(٣) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٥،جوامع الجامع، الطبرسيّ: ٣/ ٨٣٥.
(٤) الشورى: ٥٣.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٣٢.
(٦) الكافي: ٢/ ٦٣٠، معاني الأخبار، الصدوق: ١٩٠، تفسير العيَّاشيّ: ١/ ٨٠، مجمع البيان: ٢/ ١٤.
(٧) الكافي: ٢/ ٦٢٨، السنن الكبرى، البيهقيّ: ٩/ ٦.

الخامس: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَن قرأ (قل هو الله أحد) حين يأخذ مضجعه (ثلاث مرات) وكَّل الله به خمسين ألف ملك يحرسونه (طول) ليلته**»(١)، وروى الصدوق في كتاب التوحيد أنَّها كفَّارة خمسين سنة(٢).

السادس: «أبو بكر الخضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بـ(قل هو الله أحد)؛ فإنَّه من قرأها جمع الله له خير الدنيا وخير الآخرة، وغفر له ولوالديه وما توالدا (ولدا)**»(٣).

الثامن: «عن الصادق عليه السلام: **من مضى عليه يوم واحد، ولم يصلِّ فيه (قل هو الله أحد)، قيل له يوم القيامة: يا عبد الله لست من المصلِّين**»(٤).

التاسع: عنه عليه السلام: «**من مرَّت له جمعة لم يقرأ فيها بـ(قل هو الله أحد)، ثمَّ مات؛ مات على دين أبي لهب**»(٥).

(١) الأمالي، الصدوق: ٦٠، الخصال، الصدوق: ٦٣١، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٨، تحف العقول، الحرَّانيّ: ١٢٠، روضة الواعظين، الفتَّال: ٣١١، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٢٨٨.

(٢) التوحيد، الصدوق: ٩٥، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الحسيني الطهرانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

(٣) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢١٦، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٨، مجمع البيان: ١٠/ ٤٨٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

(٤) المحاسن، البرقيّ: ١/ ٩٦، الكافي: ٢/ ٦٢٢، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٧، جوامع الجامع: ٣/ ٨٧٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

(٥) المحاسن، البرقيّ: ١/ ٩٦، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٨، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ: ٢/ ٦١١، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف السيِّد محمَّد باقر الموحد الأبطحيّ، ط١، كاملة محقَّقة، ذي الحجَّة، ١٤٠٩هـ، المطبعة العلميَّة، قم، مجمع البيان: ١٠/ ٤٨٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

العاشر: «عنه عليه السلام: **من أصابه مرض أو شدَّة، ولم يقرأ في مرضه أو شدَّته (قل هو الله أحد)، ثمَّ مات في مرضه أو شدَّته، فهو من أهل النار**»(١).

الحادي عشر: روى أبو القاسم بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام: **ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلَّا كفر**»(٢).

الثاني عشر: «عامر بن عبد الله بن خزاعة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **ما من عبد يقرأ آخر الكهف إلَّا يتيقَّظ في الساعة التي يريد**»(٣).

الثالث عشر: «عن الزهريّ، قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: **الحالُّ المرتحِل**، قلت: وما الحالّ المرتحِل؟ قال: **فتح القرآن وختمه، كلَّما حلَّ بأوَّله، ارتحل في آخره**»(٤).

الرابع عشر: «عن أبي جعفر عليه السلام: **من قرأ بني إسرائيل في كلِّ ليلة جمعة، لم يمت حتَّى يدرك القائم عليه السلام، ويكون معه، ومن قرأ سورة الكهف كلَّ ليلة جمعة، لم يمت إلَّا شهيدًا، وبعثه الله مع الشهداء**»(٥).

الخامس عشر: عنه عليه السلام: «**من أوتر بالمعوِّذَتين و(قل هو الله أحد)، قيل له: يا عبد الله أبشر فقد قُبل وترك**»(٦).

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٧، جوامع الجامع: ٣/ ٨٧٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

(٢) الكافي: ٢/ ٦٣٢، ثواب الأعمال، الصدوق: ٢٨٠، معاني الأخبار، الصدوق: ١٩٠، تفسير العيَّاشيّ: ١/ ١٨.

(٣) الكافي: ٢/ ٥٤٠، من لايحضره الفقيه: ١/ ٤٧١، تهذيب الأحكام: ٢/ ١٧٥، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٢٩١، فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨٧.

(٤) الدعوات: ٣٢، الكافي: ٢/ ٦٠٥.

(٥) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٧، تفسير العيَّاشيّ: ٢/ ٢٧٦، جوامع الجامع: ٢/ ٣٥٧، مجمع البيان: ٦/ ٢١٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣٧١٠.

(٦) ثواب الأعمال: ١٢٩، الأمالي، الصدوق: ١١٦.

السادس عشر: «عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من قرأ (قل هو الله أحد) حين يخرج من منزله عشر مرات لم يزل من الله في حفظه وكلائه حتى يرجع إلى منزله»[1].

ومن الآداب في رقية الدود في السابع عشر[2]: رقية الدود الذي يأكل المباطخ والزرع، يُكتب على أربع قصبات أو أربع رقاع، ويجعل على أربع قصبات في أربع جوانب المبطحة أو الزرع: أيُّها الدود أيُّها الدواب والهوام والحيوانات، اخرجوا من هذه الأرض والزرع إلى الخراب، كما خرج ابن متَّى من بطن الحوت، فإن لم تخرجوا أرسلت عليكم ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[3]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[4] فماتوا، ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[5]، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[6]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[8]، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[9]، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

(١) الكافي: ٢/ ٥٤٢.
(٢) عدَّة الداعي: ٢٨٢.
(٣) الرحمن: ٣٥.
(٤) البقرة: ٢٤٣.
(٥) ص: ٧٧.
(٦) القصص: ٢١.
(٧) الإسراء: ١.
(٨) النازعات: ٤٦.
(٩) الشعراء: ٥٧-٥٨.

وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾[1]، ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[2]، ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3]، ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[4]، ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[5].

الثامن عشر: «عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **مَن توضَّأ ثم خرج إلى المسجد فقال حين يخرج من بيته: بسم الله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾[6]، هداه الله إلى الصواب من الايمان، وإذا قال: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾[7]، أطعمه الله ﷻ من طعام الجنة وسقاه من شراب الجنة، وإذا قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[8]، جعله الله ﷻ كفَّارة لذنوبه، وإذا قال: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[9]، أماته الله ﷻ ميتة الشهداء، وأحياه حياة السعداء، وإذا قال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[10]، غفر الله ﷻ خطاياه كلَّها، وإن كانت أكثر من زَبَد البحر، وإذا قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[11]، وهب الله تعالى له حكما وألحقه بصالح من مضى وصالح من بقي، وإذا قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾[12]، كتب الله ﷻ له ورقة بيضاء أنَّ فلان بن**

(١) الدخان: ٢٩.
(٢) ص٧٧.
(٣) الأعراف: ١٨
(٤) الأعراف: ١٣.
(٥) النمل: ٣٧.
(٦) الشعراء: ٧٨.
(٧) الشعراء: ٧٩.
(٨) الشعراء: ٨٠.
(٩) الشعراء: ٨١.
(١٠) الشعراء: ٨٢.
(١١) الشعراء: ٨٣
(١٢) الشعراء: ٨٤.

فلان من الصادقين، وإذا قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1]، **أعطاه الله ﷻ منازل في الجنّة، وإذا قال:** ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[2]، **غفر الله ﷻ لأبويه**»[3].

التاسع عشر: «روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: **مَن قرأ هذه الآية عند منامه** ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[4] إلى آخر السورة، **سطع له نور إلى المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة تستغفرون له حتّى يُصبح**»[5].

ويعقّب في آخر الأقسام بقوله: «**ختم وارشاد**: وإذًا قد عرفت فضل الدعاء والذِّكر، وعرفت أنَّ الأفضل من كلٍّ منهما ما كان سرًّا، وأنَّه يعدل سبعين ضعفًا من الجهر، فاعلم أنَّ قول أحدهما فيما رواه زرارة: «فلا يعلم ثواب ذلك الذِّكر في نفس الرجل غير الله؛ لعظمته»[6]..»[7].

إيماء إلى قسم ثالث من أقسام الذِّكر: أعلى من الأوَّلين، أعني الجهر والسرَّ، وهو الذي يكون في نفس الرجل، لا يعلمه غير الله. ثمَّ اعلم أنَّ وراء هذه الأقسام الثلاثة قسم رابع من أقسام الذِّكر، وهو أفضل منها بأجمعها، وهو ذِكر الله سبحانه عند أوامره

(١) الشعراء: ٨٥.
(٢) الشعراء: ٨٦.
(٣) الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ): ٢/ ٣٦، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان
(٤) الكهف: ١١٠.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧١، تهذيب الأحكام: ١/ ١٧٦، الكشّاف، الزمخشريّ: ٢/ ٥٠١، جوامع الجامع: ٢/ ٤٠١، تفسير النسفيّ، النسفيّ (٥٣٧هـ): ٣/ ٢٩، تفسير البيضاويّ، البيضاويّ (٦٨٢هـ): ٣/ ٥٢٨، بيروت، دار الفكر، فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨٢.
(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٢، تفسير العيّاشيّ: ٢/ ٤٤،
(٧) عدّة الداعي: ٢٨٣.

ونواهيه، فيفعل الأوامر، ويترك النواهي؛ خوفًا منه، ومراقبةً له. روى أبو عبيدة الخزاعيّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: **ألا أخبرك بأشدِّ ما فرض الله على خلقه؟** قال: بلى، ثمَّ قال: **من أشدِّ ما فرض الله إنصافك الناس من نفسك، ومواساتك أخاك المسلم في مالك، وذِكر الله كثيرًا أمَا أنِّي لا أعني (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر)، وإن كان منه، ولكن ذِكر الله تعالى عند ما أحلَّ وحرَّم، إن كان طاعة عَمِل بها، وإن كان معصية تركها»**[1].

وبعد أن يعدِّد قسم من الروايات، يذكر بعض الروايات عن الورع والتَّقوى[2]:

وقال عليه السلام: «**أصل الدين الورع كن ورعا تكن أعبد الناس كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماما منك بالعمل بغيره فإنه لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقل عمل يتقبل؟ لقول الله عز وجل** ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[3]، **فكان التَّقوى مدار قبول العمل**»[4].

واعلم أنَّ الصادق عليه السلام سُئِل عن تفسير التَّقوى، فقال عليه السلام: «**إن لا يفقدك الله حيث أمَرَك، ولا يراك حيث نَهاك**»[5].

ثمَّ يعقِّب على قول الصادق عليه السلام، فيقول: «وهذا هو بعينه قوله عليه السلام في أوَّل الباب: ولكن ذِكر الله عندما أحلَّ وحرَّم، فإن كان طاعةً عمل بها، وإن كان معصيةً تركها. وهذا هو حدُّ التقوى، وهي العدَّة الكافية في قطع الطريق إلى الجنَّة، بل هي الجنَّة الواقية من

(١) الكافي: ٢/ ٧٠، الأمالي، الطوسيّ: ٦٦٥.
(٢) عدَّة الداعي: ٢٨٥.
(٣) المائدة: ٢٧.
(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٦٨.
(٥) الخصال، الصدوق: ٣٠، الوسائل: ٢٠/ ٣٥٨.

متالف الدنيا والآخرة، وهي الممدوحة بكلِّ لسان، والمشرفة لكلِّ إنسان، ولقد شحن بمدحها القرآن»[1]. ثمَّ يستشهد بالقرآن الكريم، فيقول: «وكفاها شرفًا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[2]، ولو كان في العالم خصلة أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم في القدر، وأولى بالإيجال، وأنجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التَّقوى؛ لكان الله سبحانه أوحى بها عباده، لمكان حكمته ورحمته، فلمَّا أوصى بهذه الخصلة الواحدة جمع الأوَّلين والآخرين، واقتصر عليها، علم أنَّها الغاية التي لا يُتَجاوز عنها، ولا مُقتصر دونها»[3].

والقرآن مشحون بمدحها، وعدَّ في مدحها خصالا[4]:

الأوَّل: المدحة والثناء: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[5].

الثاني: الحفظ والتحصين من الأعداء: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[6].

الثالث: التأييد والنصر: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[7].

الرابع: إصلاح العمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[8].

(١) عدَّة الداعي: ٢٨٥.
(٢) النساء: ١٣١.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٨٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) آل عمران: ١٨٦.
(٦) آل عمران: ١٢٠.
(٧) البقرة: ١٩٤.
(٨) الأحزاب: ٧٠-٧١.

الخامس: غفران الذنوب: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

السادس: محبَّة الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢).

السابع: القبول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٣).

الثامن: الإكرام: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٤).

التاسع: البشارة عند الموت: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٥).

العاشر: النجاة من النار: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٦).

الحادي عشر: الخلود في الجنَّة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٧).

الثاني عشر: تيسير الحساب: ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٨).

الثالث عشر: النجاة من الشدائد والرزق الحلال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(٩).

---

(١) ال عمران: ٣١.

(٢) التوبة: ٧.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) يونس: ٦٤.

(٦) مريم: ٧٢.

(٧) آل عمران: ١٣٣.

(٨) الأنعام: ٦٩.

(٩) الطلاق: ٢-٣.

ثـمَّ يبدأ المصنِّـف في تفصيل الصفات التي شـملتها الآيتَان الأخيرَتَان من سـورة الطلاق، فقال: «فانظر ما جمعت هذه الخصلة الشريفة من السعادات، فلا تنس نصيبك منها، ثمَّ انظر إلى الآية الأخيرة، وما اشتملت عليه»[1]، وقد دلَّت على أمور:

الأوَّل: إنَّ التقوى حصنًا منيعًا وكهفًا حريزًا؛ لقوله تعالى: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، ومثله قوله عليه السلام: «**لو أنَّ السـماوات والأرض كانتا رتقًا على عبده المؤمن، ثمَّ اتَّقى الله؛ لجعل الله له منهما فرجًا ومخرجًا**»[2].

الثاني: كونها كنزًا كافيًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

الثالـث: دلَّـت أيضًا على فضيلة التـوكُّل، وأنَّ الله تعالى يضمن للمتـوكِّل بكفايته بقولـه: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[3]، ومـن هـذا قـال النبـيّ صلى الله عليه وآله: «**لو أنَّ الناس أخذوا بهذه الآية؛ لكفتهم**»[4].

الرابـع: تعريفه تعالى لعبيـده أنَّه قادر على ما يريد، لا يعجـزه شيء، ولا يمتنع من إرادتـه مطلوب، بقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾، ليثقوا وعدهم على تقواه من الاسـتكفاء والإعطاء، وعلى توكُّله بالكلائة والإرعاء.

(١) عدَّة الداعي: ٢٨٦.

(٢) نهـج البلاغة، الإمـام علـيّ عليه السلام، شرح محمَّد عبـدة: ٢/ ١٣، البحـار: ٢٢/ ٤٤١، والحديث «ومـن كلامـه عليه السلام لأبي ذر؛ لـمَّا أُخرج إلى الرَّبذة: **يا با ذر إنَّك غضبت لله فارجُ من غضبت له، إنَّ القـوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاتـرك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بـما خفتهـم عليه، فما أحوجهـم إلى ما منعتهـم، وأغناك عمَّا منعوك، وسـتعلم مَـن الرابح غدا، والأكثر حسـدًا، ولو أنَّ السـماوات والأرض كانتا على عبد رتقًا، ثمَّ اتَّقى الله؛ لجعل الله له منهما مخرجًا، لا يؤنسنك إلَّا الحق، ولا يوحشنك إلَّا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبُّوك، ولو قرضت منها لآمنوك**».

(٣) النساء: ١٢٢.

(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٦٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٠٠.

وتعزيزًا لشاهده، يزيد التوثيق من الروايات[1]، فيقول: «وسُئِل الصادق عليه السلام عن حدِّ التوكُّل، فقال: «**أن لا يخاف مع الله شيئًا**»[2]، وأنَّ في هذه الآية لبلغة للعباد، وكفاية لمطالب الاسترشاد.

روى أحمد بن الحسين الميثميّ عن رجل من أصحابه، قال: «قرأت جوابًا من أبي عبد الله عليه السلام إلى رجل من أصحابه: **أمَّا بعد فأنِّي أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ الله قد ضمن لمن اتَّقاه أن يحوِّله عمَّا يكره إلى ما يحبُّ، ويرزقه من حيث لا يحتسب، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يخدع عن جنبه، ولا ينال ما عنده إلَّا بطاعته**»[3]. وعن الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي إلَّا شتَّت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، واشتغلت قلبه بها، ولم أرزقه منها إلَّا ما قدَّرت له، وعزَّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلَّا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلِّ تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[4]. وروى أبو سعيد الخدريّ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عند منصرفه من أحد، والناس محدقون به، وقد أسند ظهره إلى طلحة هناك: «**أيُّها الناس أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم، واعرضوا عمَّا ضمن لكم من دنياكم، ولا تستعملوا جوارحًا غذِّيت بنعمته في التعرُّض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم في التماس مغفرته، واصرفوا**

(١) عدَّة الداعي: ٢٨٧.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٧، الأمالي، الصدوق: ٣١١، تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ: ٤٤٥، روضة الواعظين، الفتَّال: ٤٢٥.

(٣) الكافي: ٨/ ٤٩، تحف العقول: ٢٤٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٢٠.

(٤) الكافي: ٢/ ٣٣٥، المجازات النبويَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ): ١٧٤، تحقيق وشرح: طه محمَّد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، مسند أحمد: ٥/ ١٨٣، مجمع البيان: ٩/ ٤٦، إعجاز القرآن، الباقلَّانيّ (٤٠٣هـ): ١٣٣، تحقيق: السيِّد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر.

همَّتكم التقرُّب إلى طاعته، مَن بدأ بنصيبه من الدنيا، فإنَّه نصيبه من الآخرة، ولم يدرك منها ما يريد، ومَن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد»[1]. وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيّما مؤمن أقبل قبل ما يحب الله أقبل الله عليه قبل كلِّ ما يحب، ومن اعتصم بالله بتقواه عصمه الله، ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبالِ لو سقطت السماء والأرض، وإن نزلت نازلة على أهل الأرض فشملتهم بليَّة، كان في حرز الله بالتقوى من كلِّ بليَّة، أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾»[2].[3].

في بيان أنَّ التقوى هو الاكتساب والاجتناب[4]

يقول: واعلم أنَّ التقوى شطران، شطر الاكتساب، وشطر الاجتناب، والاكتساب فعل الطاعات، والاجتناب ترك المنهيَّات، وهو أسلم وأصلح للعبد وأهمّ عليه من شطر الاكتساب؛ لأنَّ الاجتناب يفيد مع حصوله، ويزكو معه ما يحصل من شطر الاكتساب وإن قلَّ، قال عليه السلام: «يكفي من الدعاء مع البرِّ ما يكفي الطعام من الملح»[5].. وشطر الاكتساب لا ينفع مع تضييع شطر الاجتناب.. قال القرشيّ: «إنَّ شجرنا في الجنَّة لكثيرة، قال: نعم ولكن إيَّاكم أن تُرسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها»[6]. وعنه عليه السلام: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[7]). وعنهم عليهم السلام: «جدُّوا واجتهدوا، وإن

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣٣٩.
(٢) الدخان: ٥١.
(٣) مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ: ٥٣.
(٤) عدَّة الداعي: ٢٩٣.
(٥) الأمالي، الطوسيّ: ٥٣٤، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٥٦٤، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ١٩٧.
(٦) الكافي: ٨/ ٤٥، تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ: ٤٩٣.
(٧) الفتوحات المكيَّة، ابن العربيّ (٦٣٨هـ): ٤/ ٥٤٣، دار صادر، بيروت، لبنان، أعلام الدين=

لم تعملوا فلا تعصوا، فإنَّ من يبني ولا يهدم، يرتفع بناؤه وإن كان يسيرًا، وإنَّ من يبني ويهدم، يوشك أن لا يرتفع له بناء»[1].

فعليك بالاجتهاد في تحصيل الطرفَين؛ لتستكمل حقيقتها، وتكون قد سلمت وغنمت، وإن لم تبلغ إلَّا إلى أحدهما، فليكن ذلك شطر الاجتناب، فتسلم إن لم تغنم، وإلَّا خسرت الشَّطرَين جميعًا، فلا ينفعك قيام الليل وتعبه مع تضمضك بأعراض الناس. وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وفضول الطعام؛ فإنَّه يَسِمُ القلب بالقسوة، ويبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصمُّ الهمم عن سماع الموعظة، وإيَّاكم وفضول النظر؛ فإنَّه يبذر الهوى ويولِّد الغفلة، وإيَّاكم واستشعار الطمع؛ فإنَّه يشوب القلب بشدَّة الحرص، ويختم القلب بطابع حبِّ الدنيا، وهو مفتاح كلِّ معصية، ورأس كلِّ خطيئة، وسبب إحباط كلِّ حسنة**»[2]. وهذا مثل قوله عليه السلام: «**إيَّاكم أن ترسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها**»[3].

وروى محمَّد بن يعقوب يرفعه إلى أبي حمزة، قال: «كنت عند عليّ بن الحسين عليهما السلام، فجاءه رجل، فقال له: يا أبا محمَّد إنِّي مُبتلى بالنساء، فأزني يومًا، وأصوم يومًا، فيكون ذا كفَّارة لذا، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: **إنَّه ليس شيء أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من أن يُطاع فلا يُعصى، فلا تزني ولا تصوم**، فاجتذبه أبو جعفر عليه السلام بيده إليه، فقال له: **تعمل عمل أهل النار، وترجو أن تدخل الجنَّة**»[4]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ليجيئن أقوام يوم القيامة لهم من الحسنات كجبال تهامة فيأمر بهم إلى النار**، فقيل: يا نبيَّ الله أ مُصلُّون؟ قال: **كانوا**

=في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٣٩.

(١) الأمالي، الصدوق: ٧٠٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١١.

(٢) البحار: ٦٩/ ١٩٩.

(٣) ثواب الأعمال: ١١، الوسائل: ٧/ ١٨٧.

(٤) الكافي: ٥/ ٥٤٢.

يصلُّـون ويصومون، ويأخذ ون وهنًا من الليل، لكنَّهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه»[1].

واعلم أنَّك لن تبلغ ذلك إلَّا بالمجاهدة لنفسك الأمَّارة، فإنَّها أضرّ الأعداء، كثيرة البـلاء، مرميَّة في المهالك، كثيرة الشـهوات، قال الله تعـالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]. وقال ﷺ: «**أعدى عدوَّك نفسـك التي بـين جنبيك**»[3]، فلا تغفل عنها، وأوثقهـا بقيد التقوى، وأكثرها بثلاثة أشـياء: الأوَّل: منع الشـهوات، فإنَّ دابَّة الحرون تلـين إذا نقص من علفها. الثاني: تحمُّل أثقال العبادات، فإنَّ الدابَّة إذا ثقل حملها، وقلِّل علفها، ذلَّت وانقادت. الثالث: الاستعانة بالله والتضرُّع إليه بأن يعينك عليها، أوَ لا ترى إلى قـول الصدِّيـق: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، فإذا وطنت (وظبت) على هذه الأمور الثلاثة، انقادت لك بإذن الله تعالى، فح تبادر إلى أن تملكها، وتلجمها وتأمن من شرِّها، وكيف تأمن أو تسلم مع إهمالها؟ مع ما تشاهد من سوء اختيارها ورداءة أحوالها، ألست تراها وهي في حالة الشهوة بهيمة؟ وفي حال الغضب سـبع، وفي حال المصيبة طفل، وفي حال النعمة فرعون، وفي حال الشـبع تراهـا مختالة، وفي حال الجوع تراها مجنونًا، إن أشـبعتها بطـرت، وإن جوَّعتها صاحت وجزعت، فهي كالحمار السوء إن أقضمته رمَحَ، وان جاع نهق.

قـال بعض العلماء: ومن رداءة هذه النفس جهلها أنَّها إذا همَّت بمعصية، أو انبعث لها شـهوة، لو تشـفَّعت إليها بـالله تعالى ثمَّ برسـوله وبجميـع أنبيائه وكتبـه، وبجميع

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٤٣
(٢) النازعات: ٣٧-٤١.
(٣) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ: ٤/ ١١٨.
(٤) يوسف: ٥٣.

الملائكـة المقرَّبين، وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنَّـة والنار، لا تُعطي القياد ولا تسكن، ولا تترك الشهوة، ثمَّ استقبلها بمنع رغيف أو إعطاء رغيف، تسكن وتترك شـهوتها لتعلم خسَّـتها وجهلها. وإيَّاك أن تغفل عنها طرفة عين، فإنَّها كما قال خالقها: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

وكفى بهذا تنبيهًا لمن عقل، فألجِمها بالتقوى، وقُدها بزمام الرجا، وسُـقها بسـوط الخـوف، وأمَّـا التقوى فلتتقيَّد بها عن الجمـوع والنفار، وأمَّا الخـوف فإنَّما يجب التزامه لأمرَين:

الأوَّل: لتزجـر به عن المعاصي، فإنَّها أمَّارة بالسـوء، ميَّالـة إلى الشرِّ، ولا تنتهي عن ذلك إلَّا بتخويفٍ عظيمٍ وتهديد.

الثـاني: لئَّلا تعجب بالطاعة، والعجـب من المهلكات، بل تقمعهـا بالذمِّ والعَيب والنقص، وما اكتسب به من الأوزار والخطايا التي توجِب الخزي والنار.

وأمَّا الرجاء؛ فإنَّما يلزم لأمرَين:

الأوَّل: ليبعث على الطاعات؛ لأنَّ الخير ثقيل، والشيطان عنه زاجر، والنفس ميَّالة إلى الكسل والبطالة.

الثاني: ليهون عليك احتمال المشقَّات والشدائد؛ لأنَّ من عرف ما يطلب، هانَ عليه ما يبذل، ألا ترى مشـتار العسـل؟ لا يتفكَّر بلسـع النحل لما يتذكَّر من حلاوة العسل، والفاعـل يعمـل طول نهاره بالجهد الشـديد، ويجـد لذلك لذَّة من أجـل أخذ الأجرة، والفلاح لا يتفكَّر بمقاسـاةِ الحرِّ والبرد، ومباشرة الشـقاء والكدِّ طول السـنة، لما يتذكَّر من البذر، فأجهد أيُّها الواعي على الغاية القصوى، واصبر على الألم والبلوى.

(١) يوسف: ٥٣.

ثـمَّ إذا كان أثر العبوديَّـة وهو القيام بالطاعة والانتهاء مـن المعصية؛ وذلك لا يتمُّ مـع هذه النفس الأمَّارة بالسـوء إلَّا بترغيـبٍ وترهيبٍ وتخويفٍ وترحيـبٍ، فإنَّ الدابَّة الحرون تحتاج إلى قائد يقودها، وإلى سـائق يسوقها، وإذا وقعت في مهواة، فربَّما تُضرَب بالسوط من جانب، ويلوَّح لها بالشعير من جانب آخر حتَّى تنهض وتتخلَّص ممَّا وقعت فيـه، فـإنَّ الصبيّ الغرّ لا يمرُّ إلى المكتـب إلَّا بترحيبه من الأبَوَيـن، وتخويفه من المعلِّم، وكذلك هذه النفس دابَّة حرون، وقعت في مهمَّات الدنيا، فالخوف سـوطها وسـائقها، والرجاء شـعيرها وقائدها، وإنَّما يغدو الصبي الغرّ إلى المكتـب رغبةً في الرجاء، ورهبة في الخـوف، فذكر الجنَّة وثوابها ترحيب النفس وترغيبها، والنار وعقباها تخويف النفس وترهيبها.

خاتمة الكتاب في أسماء الله الحسنى[1]

فصل:

وقد أحببت أن أختم هذه الرسالة بذِكر أسمائه الحسنى، بوجهَين:

أمَّـا أوَّلًا: فـلأنَّ المقصود مِن وضع هـذا الكتاب التنبيه على ما يكون سـببًا لإجابة الدعـاء، وقال الله تبارك وتعـالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]. وقد روى: «الصدوق بإسناده مرفوعًا إلى عبد السـلام بن صالح الهرويّ، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّ لله عزَّ وجلَّ تسـعةً وتسعونَ اسـمًا، مَن دعا الله بها، استجاب له، ومَن أحصاها دخل الجنَّة**»[3].

(١) عدَّة الداعي: ٢٩٨-٣١٧.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) المحلَّى، ابن حزم (٤٥٦هـ): ١/ ٣٠، دار الفكر، التوحيد، الصدوق (٣٨١هـ): ١٩٤، تحقيق=

وأمَّا ثانيًا: فلنشـرِّف هذه الرسالة، وليكون ختامها مسك. ثمَّ أردفها بشرحها على وجهٍ وجيزٍ لا باختصارٍ مخلٍّ ولا بإطنابٍ مملٍّ؛ ليكون ذلك كالعقيدة لسامعها وقاريها وحافظها وواعيها وكاتبها، فيبلغ بذلك حقيقة التوحيد، ولعلَّ إلى هذا أشار الصدوق بقوله: معنى أحصاها، هو الإحاطة لها، والوقوف على معانيها، وليس معنى الإحصاء عدّها.

وروى: «الصدوق أيضًا بإسناده إلى سليمان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمَّد عن أبيه محمَّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ لله تبارك وتعالى تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلَّا واحدًا، من أحصاها دخل الجنَّة (صدق رسول الله صلى الله عليه وآله)، وهي: الله، الواحد، الأحد، الصمد، الأوَّل، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العليُّ، الأعلى، الباقي، البديع، الباري، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحي، الحكيم، العليم، الحِلِّيم، الحفيظ، الحق، الحسيب، الحميد، الحفي، الربّ، الرحمن، الرحيم، الذاري، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، المتكبر، السيِّد، السبُّوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفو، الغفور، الغني، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوى، القريب، القيوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، الوليّ، المنَّان، المحيط، المبين، المقيت، المصوِّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضرِّ، الوِتر، النور، الودود، الوهاب، الناصر، الواسع، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البر، الباعث، التوَّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديَّان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي**»[1].

=وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، الخِصال، الصدوق: ٥٩٣، سنن ابن ماجه: ٢/ ١٢٦٩، سنن الترمذيّ: ٥/ ١٩١، مستدرك الحاكم: ١/ ١٦، السنن الكبرى، البيهقيّ: ١٠/ ٢٧.

(١) الخصال، الصدوق: ٥٩٣، التوحيد، الصدوق: ١٩٤.

١. الله: أشهر أسماء الله تعالى وأعلاها محلًّا في الذِّكر والدعاء، وتسمَّت به سائر الأسماء.

٢. الواحد.

٣. الأحد.

هما اسمان يشملهما نفي الأبعاض عنهما، والأجزاء، والفرق بينهما من وجوه:

الأوَّل: إنَّ الواحد هو المنفرد بالذات، والأحد هو المنفرد بالمعنى.

الثاني: إنَّ الواحد أعمُّ موردًا؛ لكونه يُطلق على من يعقل وغيره، ولا يُطلق الأحد الأعلى من يعقل.

الثالث: إنَّ الواحد يدخل في الضرب والعدد، ويمتنع دخول الأحد في ذلك.

٤. الصمد: هو السيِّد الذي يُصمَد إليه في الأمور، ويُقصَد في الحوائج والنوازل. وأصل الصمد القصد، تقول: صمدت صمد هذا الأمر، أي قصدت قصده، وقيل: الصمد الذي ليس بجسم ولا جوف.

٥. الأوَّل: هو السابق للأشياء، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، لا شيء قبله.

٦. الآخر: هو الباقي بعد فناء الخلق، وليس معنى الآخر ما له الانتهاء كما ليس معنى الأول ماله الابتداء فهو الأول والآخر.

٧. السميع: بمعنى السامع، يسمع السرَّ والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ

﴿ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]، ويسمع الدعاء، وقيل: السميع العالم بالمسموعات، وهي الأصوات والحروف، وثبوت ذلك له ظاهر؛ لأنَّه لا يغيب عنه شيء من أصوات خلقه، أو لأنَّه عالم بكلِّ شيء معلوم، فيدخل في ذلك البصير.

٨. البصير: وهو المبصر، أي عالم بالخفيَّات، وقيل: البصير العالم بالمبصرات.

٩. القدير: بمعنى القادر، وهو من القدرة على الشيء والتمكُّن منه، فلا يطيق الامتناع عن مراده، ولا يستطيع الخروج عن إصداره وإيراده.

١٠. القاهر: هو الذي قهر الجبابرة، وقهر عباده بالموت، ولا يطيق الأشياء الامتناع منه ممَّا يريد الإنفاذ فيها.

١١. العليّ: المتنزِّه عن صفات المخلوقين تعالى أن يوصف بها، وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه بالقدرة عليهم، أو الترفُّع بالتعالي عن الأشباه والأنداد، وعمَّا خاضت به وساوس الجهَّال، وترامت إليه فكر الضلال، فهو متعالٍ عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

١٢. الأعلى: بمعنى الغالب، كقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]، وقد يكون بمعنى المتنزِّه عن الأمثال والأضداد والأشباه والأنداد.

١٣. الباقي: هو الذي لا تعرض عليه عوارض الزوال، وبقاؤه غير متناهٍ ولا محدود، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنَّة والنار ودوامهما؛ لأنَّ بقاءه أزليّ أبديّ، وأنَّ بقاءَهما أبديّ غير أزليّ، ومعنى الأزل ما لم يزل، ومعنى الأبد ما لا يزال والجنَّة والنار مخلوقتان بعد أن لم تكونا، فهذا فرق ما بين الأمرَين.

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) طه: ٦٨.

١٤. البديع: هو الذي فطر الخلق مبتدعًا لها لا على مثال سابق، وهو فعيل على مفعل كاليم بمعنى مؤلم، والبدع هو الذي يكون أوَّلًا في كلِّ شيء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[١]، أي لست بأوَّل مرسل.

١٥. الباري: الخالق، ويقال: برء الله الخلق أي خلقهم كما يقال بارئ النسم، وهو الذي فلق الحبَّة وبرء النسمة، وبارئ البرايا، أي خالق الخلايق، والبريَّة الخليقة.

١٦. الأكرم: معناه الكريم، وقد يجيء أفعل في معنى فعيل، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢]، إن هين عليه ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾[٣]، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[٤]، يعنى الشقيّ والتقيّ.

١٧. الظاهر: بحججه الباهرة وبراهينه النيِّرة، وشواهد أعلامه الدالَّة على ثبوت ربوبيَّته وصحَّة وحدانيَّته، فلا موجود إلَّا وهو يشهد بوجوده، ولا مخترع إلَّا وهو يعرب عن توحيده:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ
تدلُّ على أنَّه واحدُ

وقد يكون بمعنى الغالب القادر، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[٥].

(١) الاحقاف: ٩.
(٢) الروم: ٢٧.
(٣) الليل: ١٥.
(٤) الليل: ١٧.
(٥) الصف: ١٤.

١٨. الباطن: المحتجب عن إدراك الأبصار وتلوُّث الخواطر والأفكار، فهو الظاهر الخفيّ، الظاهر بالدلايل والإعلام، والخفيّ بالكنه عن الأوهام، احتجب بالذات، وظهر بالآيات، فهو الباطن بلا حجاب، والظاهر بلا اقتراب، وقد يكون بمعنى البطون، وهو الخبر، وبطانة الرجل وليجته الذين يداخلهم ويداخلونه في أمره، والمعنى أنَّه عالم بسرائرهم، فهو عالم بسرائر القلوب، والمطَّلع على ما بطن من الغيوب.

١٩. الحي: هو الفعَّال المدرك، وهو حيٌّ بنفسه، لا يجوز عليه الموت والفناء، وليس بمحتاج الحياة وبها يحيى.

٢٠. الحكيم: هو المحكم لخلق الأشياء ومعنى الإحكام لخلق الأشياء إتقان التدبير وحسن التصوير والتقدير، وقيل: الحكيم العالم والحكم في اللغة العلم، لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[١]. والحكيم أيضًا الذي لا يفعل القبيح، ولا يخلّ بالواجب، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها، فلا يعترض عليه في تقديره، ولا يتسخَّط عليه في تدبيره.

٢١. العليم: هو العالم بالسراير والخفيَّات التي لا يدركها عالم الخلق، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢]، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣]، عالم بتفاصيل المعلومات قبل حدوثها، وبعد وجودها.

٢٢. الحِلِّيم: ذو الصفح والأناة، الذي لا يغيِّره جهل جاهل، ولا غضب غاصب، ولا عصيان عاصٍ.

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.
(٢) الحديد: ٦.
(٣) سبأ: ٣.

٢٣. الحفيظ: هو الحافظ يحفظ السماوات والأرض وما بينهما، ويحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع السوء.

٢٤. الحقُّ: هو المتحقِّق كونه ووجوده، وكلُّ شيء يصحُّ وجوده وكونه فهو حقٌّ، كما يُقال: الجنَّة حقٌّ كائنة، والنار حقٌّ كائنة.

٢٥. الحسيب: هو الكافي، تقول: حسبك درهم، أي كفاك، كقوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، أي هو كافيك، والحسيب أيضًا بمعنى المحاسب، كقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢]، أي محاسبًا، والحسيب أيضًا المحصي والعالم.

٢٦. الحميد: هو المحمود الذي استحقَّ الحمد بفعاله، أي يستحقُّ الحمد في السرَّاء والضرَّاء، وفي الشدَّة والرَّخاء.

٢٧. الحفي: معناه العالم، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[٣]، أي عالم بوقت مجيئها، وقد يكون الحفي بمعنى اللطيف، ومعناه المحتفي بك، يبرّك ويلطفك.

٢٨. الربُّ: المالك، وكلُّ مَن ملك شيئًا؛ فهو ربُّه، ومنه قوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[٤]. أي سيِّدك ومليكك، وقال قائل يوم حنين: لإن يربني رجل من قريش أحبُّ إليَّ من أن يربني رجل من هوازن، يريد يملكني، ويصير لي ربًّا ومالكًا، ولا يدخل الألف واللام على غير المعبود سبحانه تعالى؛ لأنَّها للعموم وهو

(١) الأنفال: ٦٤.
(٢) الإسراء: ١٤.
(٣) الأعراف: ١٨٧.
(٤) يوسف: ٥٠.

المالـك لـكلِّ شيء، وإنَّما يطلق على غيره بالنسـبة إلى ما يملكـه ويضاف إليه، والربَّانُّيون نُسِـبوا إلى التألُّه والعبادة للرَّبِّ؛ لانقطاعهم إليه، وإلمامهم بحضرة خدمته، والربَّانيُّون الصابرون مع الأنبياء الملازمون لهم.

٢٩. الرحمـن: بجميـع خلقـه، إذ هـو ذو الرحمـة الشـاملة التي وسـعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، وعمَّت المؤمن والكافر والصالح والطالح.

٣٠. الرحيـم: بالمؤمنـين يخصُّهـم برحمتـه، قـال الله تعـالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[١]. والرحمـن والرحيم اسـمان موضوعـان للمبالغة، ومشـتقَّان من الرحمـة، وهي النعمة، قال الله تعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢]، أي: نعمـة عليهـم، وقد يتسـمَّى بالرحيم غيره تعـالى، ولا يتسـمَّى بالرحمن سـواه؛ لأنَّ الرحمن هو الذي يقدر على كشـف البلوى، والرحيم مِن خلقه قد لا يقدر على كشـفها، ويقال للقرآن: رحمة والغيث رحمة، ويقال لرقيق القلب من الخلق: رحيم؛ لكثرة وجود الرحمة منه، بسـبب رقَّة القلب، وأقلّها الدعاء للمرحـوم والتوجُّع له، وليسـت في حقِّه تعالى بمعنى الرقَّـة، بل معناها إيجاد النعمة للمرحوم، وكشـف البلوى عنه، فالحدُّ الشامل أن تقول هي التخلص من أقسام الآفات، وإيصال الخيرات إلى أرباب الحاجات.

٣١. الـذاري: الخالـق والله ذرأ الخلـق وبرأهـم أي خلقهـم، وأكثرهـم على ترك الهمزة.

٣٢. الـرازق: المتكفِّـل بالرزق، والقائم عـلى كلِّ نفس بما يقيمها من قوتها، وسـع الخلق كلهم رزقه ولم يخص بذلك مؤمنًا دون كافر ولا برًا دون فاجر.

(١) الأحزاب: ٤٣.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

٣٣. الرقيب: الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١].

٣٤. الرؤوف: هو العاطف برأفته على عباده، وقيل: الرَّأفة أبلغ من الرحمة، ويقال: الرَّأفة أخصُّ من الرحمة، والرحمة أعمُّ.

٣٥. الرائي: معناه العالم والرؤية العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٢]، أراد ألم تعلم، وقد يكون الرائي بمعنى المبصِر، والرؤية الأبصار.

٣٦. السلام: معناه ذو السلام، والسلام في صفته تعالى هو الذي سلم من كلِّ عيب، وبرء من كلِّ آفة ونقص، وقيل: معناه المسلم؛ لأنَّ السلامة تُنال من قبله، والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٣]. يجوز أن يكون مضافة إليه، ويجوز أن يكون قد سمَّى الجنَّة سلامًا؛ لأنَّ الساير إليها تسلم فيها من كلِّ آفات الدنيا، فهي دار السلام.

٣٧. المؤمن: أصل الإيمان في اللغة التصديق، فالمؤمن المصدق أي يصدق وعده، ويصدق ظنون عباده المؤمنين، سمِّي الباري ﷻ مؤمنًا؛ لأنَّه يؤمن عذابه من أطاعه، وسمِّي العبد مؤمنًا؛ لأنَّه يؤمن على الله ﷻ، فيجير الله أمانه.

٣٨. المهيمن: هو الشهيد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٤]، فالله المهيمن، أي الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قولٍ وفعل، وإذ لا يغيب عنه مثقال ذرَّة في الأرض

(١) ق: ١٨.
(٢) الفجر: ٦.
(٣) الأنعام: ١٢٧.
(٤) المائدة: ٤٨.

ولا في السماء، وقيل: المهيمن الأمين، وقيل: الرقيب على الشيء الحافظ له، وقيل: إنَّه اسم من أسماء الله ﷻ في الكتب.

٣٩. العزيز: هو المنيع الذي لا يُغلَب، وهو أيضًا الذي لا يعادله شيء، وأنَّه لا مثال له ولا نظير له، ويُقال: من عزيز، أي من غلب سلب، وقوله تعالى حكايةً عن الخصم: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[1]، أي غلبني في مجاوبة الكلام، وقد يقال: للملك كما قال إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾[2]، أي يا أيُّها الملك.

٤٠. الجبَّار: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكسرهم، وكفاهم أسباب المعاش والرزق، وقيل: الجبَّار العالي فوق خلقه، والقامع لكلِّ جبَّار، وقيل القاهر الذي لا يُنال، يقال للنخلة التي لا تُنال: جبَّارة، والجبر أن تجبر إنسانًا على ما تلزمه قهرًا على أمرٍ من الأمور، وقال الصادق عليه السلام: **لا جبرٌ ولا تفويضٌ، ولكن أمرٌ بين أمرَين**، عنى بذلك أنَّ الله لم يجبر عباده على المعاصي، ولم يفوِّض إليهم أمر الدين حتَّى يقولوا فيه بآرائهم، فالله ﷻ قد حدَّ ووصف وشرَّع وفرض وسنَّ وأكمل لهم الدين؛ فلا تفويض مع التحديد والتوصيف.

٤١. المتكبِّر: هو المتعالى عن صفات الخلق، ويقال المتكِّبر على عتات خلقه، إذ نازعوه العظمة، وهو مأخوذ من الكبرياء، وهي اسم للتكبُّر والتعظُّم.

٤٢. السيِّد: معناه الملك، ويقال لملك القوم وعظيمهم سيِّد، وقد سادهم، وقيل لقيس بن عاصم: بمَ سُدت قومك؟ قال: ببذل الندى وكفِّ الأذى ونصر المولى، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **عليّ سيِّد العرب**، فقالت عايشة: يا رسول الله ألست

(١) ص: ٢٣.

(٢) يوسف: ٨٨.

سيِّد العرب؟ فقال: **أنا سيِّد ولد آدم، وعليّ عليه السلام سيِّد العرب**. فقالت: يا رسول الله: وما السيِّد؟ فقال: **هو من افترضت طاعته، كما افترضت طاعتي**، فعلى هذا الحديث السيِّد هو الملك الواجب الطاعة.

٤٣. السُّبُّوح: هو المنزَّه عن كلِّ ما لا ينبغي أن يوصف به، وهو حرف مبنيّ على فعول، وليس في كلام العرب فُعول بضمِّ الفاء إلَّا سُبُّوح وقُدُّوس، معناهما واحد.

٤٤. الشهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيء يقال: شاهد وشهيد وعالم وعليم، أي كأنَّه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء، ويكون الشهيد بمعنى العليم، لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، قيل: معناه أي علم.

٤٥. الصادق: معناه الذي يصدق في وعده، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده.

٤٦. الصانع: الصانع المطلق هو الصانع لكلِّ مصنوع، أي خالق لكلِّ مخلوق، ومبدع جميع البدايع، وفي هذا دلالة على أنَّه لا يشبهه شيء؛ لأنَّا لم نجد فيما شاهدنا فعلًا يشبه فاعلًا البتَّة، وكلُّ موجودٍ سواه، فهو فعله وصنعته، وجميع ذلك دليل على وحدانيَّته، شاهد على انفراده، وعلى أنَّه بخلاف خلقه، وأنَّه لا شريك له، وقال بعض الحكماء في هذا المعنى يصف النرجس.

٤٧. الطاهر: معناه المتنزِّه عن الأشباه والأنداد والأمثال والأضداد والصاحبة والأولاد والحدوث والزوال والسكون والانتقال والطول والعرض والدقَّة والغلظة والحرارة والبرودة، وبالجملة هو طاهر عن معاني المخلوقات، متعالٍّ

(١) آل عمران: ١٨.

عن صفات الممكنات، مقدَّس عن نعـوت المحدثات، فتعالى وتكرَّم وتقدَّس وتعظَّم أن يحيط به علم، أو يتخيَّله وهم.

٤٨. العـدل: هو الـذي لا يميل به الهوى، فيجـور في الحكم، والعـدل من الناس المرضي قوله وفعله وحكمه.

٤٩. العفو: هو المحَّاء للذنوب الموبقات، ومبدلها بأضعافها من الحسـنات، والعفو فعـول مـن العفو، وهو الصفح عـن الذنب، وترك مجازاة المسيء، وقيل: هو مأخوذ من عَفت الرياح الأثر، إذا درسته ومحته.

٥٠. الغفـور: هو الـذي يكثر المغفرة، ويكون معناه منصرفًـا إلى مغفرة الذنوب في الآخـرة، والتجاوز عن العقوبة، واشـتقاقه من الغفر، وهو السـتر والتغطية، ومنه سمِّي المغفر لسترِهِ الرأس، والمبالغة في العفو أعظم من المبالغة في الغفور؛ لأنَّ سـتر الشيء قد يحصل مع بقاء أصله، بخلاف المحو، فإنَّه إزالة له رأسًـا، وقلع لأثره جملة.

٥١. الغني: هو المستغني عن الخلق بذاته، فلا تعرض له الحاجات، وبكماله وقدرته عـن الآلات والأدوات، وكلُّ مـا سـواه محتـاج، ولو في وجـوده، فهو الغنى المطلق.

٥٢. الغياث: معناه المغيث، سـمِّي بالمصدر توسُّعًا لكثرة إغاثته الملهوفين، وإجابته دعاء المضطرِّين.

٥٣. الفاطـر: الذي فطر الخلـق، أي خلقهم وابتدأ صنعة الأشـياء وابتدعها، فهو فاطرها، أي خالقها ومبدعها.

٥٤. الفرد: معناه المتفـرِّد بربوبيَّته، وبالأمر دون خلقه، وأيضًا فإنَّه موجود وحده، ولا شريك موجود معه.

٥٥. الفتَّاح: الحاكم بين عباده، يقال: فتح الحاكم بين الخصمَين، إذا قضى بينهما، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[١]، أي أحكم بيننا، ومعنى الفتَّاح أيضًا الذي يفتح الرزق والرحمة لعباده.

٥٦. الفالق: الذي فلق الأرحام، فانشقَّت عن الحيوان، وفلقَّ الحَبَّ والنوى، فانفلقت عن النبات، وفلق الأرض، فانفلقت عن كلِّ ما يخرج منها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[٢]، وفلق الظلام عن الصباح، والسماء عن القطر، وفلق البحر لموسى ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[٣].

٥٧. القديم: هو المتقدِّم للأشياء بكلِّ تقدُّم، وليس لوجوده أوَّل، ولا يسبقه عدم.

٥٨. الملك: التام الملك الجامع لأصناف المملوكات، والملكوت ملك الله ﷻ، زيدت فيه التاء، كما زيدت في رهبوت ورحموت، يقول العرب: ورهبوت خير من رحموت، أي لإن ترهب خير من أن ترحم.

٥٩. القدُّوس: فعول من القدس، وهو الطهارة، والقدُّوس الطاهر من العيوب، المنزَّه عن الأنداد والأولاد، والتقديس التطهير والتنزيه، وقوله تعالى حكايةً عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٤]، أي ننسبك إلى الطهارة، ونسبِّحك ونسبِّح لك بمعنى واحد، وحظيرة القدس موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا والأوصاب والأوجاع، وقد قيل إنَّ القدُّوس اسم من أسماء الله ﷻ في الكتب.

(١) الأعراف: ٨٩.
(٢) الطارق: ١٢.
(٣) الشعراء: ٦٣.
(٤) البقرة: ٣٠.

٦٠. القـويّ: قد يكون بمعنى القادر، ومن قوي على الشيء فقد قدر عليه، ويكون معنـاه التـام للقويّ الـذي لا يسـتولي عليه العجـز، وهو القوى بـلا معاياة، ولا استعانة.

٦١. القريـب: المجيب، كقوله تعـالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، وقد يكون بمعنـى العالم بوسـاوس القلوب، لا حجـاب بينه وبينها ولا مسـافة، كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[2]، فهو قريب بغير مماسـة بائن من خلقه، بغير طريقٍ ولا مسـافة، بل هو عـلى المفارقة في المخالطة، والمخالفة لهم في المشـابهة، وكذلك التقرُّب إليه ليس من جهة الطريق والمسائف، بل إنَّما هـو من جهة الطاعة وحسـن الاعتقاد، فالله تبارك وتعـالى قريب إن دنوه من غير تنقُّل؛ لأنَّه ليس باقتطاع المسائف يدنو، ولا باجتياز الهواء يعلو، كيف وقد كان قبل السفل والعلوِّ، وقبل أن يوصف بالعلوِّ والدنوّ.

٦٢. القيُّـوم: هـو القائـم الدائـم بـلا زوال، ويُقـال: هـو القيِّـم عـلى كلِّ شيء بالرعايـة، ومثله القيـام، وهما من فعول وفيعال، من قمـت بالشيء إذا توليَّته بنفسـك، وتولَّيـت حفظـة وإصلاحـه وتدبـيره، وقالوا: مـا فيها مـن ديور ولا ديار.

٦٣. القابـض: معناه الذي يقبـض الأرزاق عن الفقراء بحكمتـه ولطفه، ابتلاهم بالصـبر وذخر النفيس الأجر، وقيل: القابـض الذي يقبض الأرواح بالموت، وقيل: اشـتقاقه من القبض، وهو الملك، كـما يقال: فلان في قبض فلان أي في ملكـه، وهذا الشيء في قبضي، ومنـه قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ

(١) البقرة: ١٨٦.
(٢) الواقعة: ٨٥.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]، وهذا كقولـه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[2]، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[3].

٦٤. الباسـط: هو الذي يبسـط الأرزاق حتَّـى لا يبقى فاقة برحمتـه وجوده وكرمه وفضله.

٦٥. القاضي: هو الحاكم على عباده بالانقياد في أوامره ونواهيه وزواجره ومراضيه، واشتقاقه من القضاء، وهو من الله على ثلاثة أوجه:

الأول: الحكـم والإلـزام كقولـه تعـالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[4]، ويقـال: قضى القـاضي عليه بكذا، أي حكم عليه بكذا، وألزمه إيَّاه.

الثـاني: الخـبر والإعـلام كقولـه ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[5]، أي أخبرناهـم بذلـك عـلى لسان نبيِّهم.

الثالـث: الإتمام، كقولـه تعـالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[6]، ويُقال: قضى فلان حاجته، يريد أتمَّ حاجته على ما سأله.

(١) الزمر: ٦٧.
(٢) الأنعام: ٧٣.
(٣) الانفطار: ١٩.
(٤) الإسراء: ٢٣.
(٥) الإسراء: ٤.
(٦) فصلت: ١٢.

٦٦. المجيد: هو الواسع الكريم، يقال: رجل ماجد إذا كان سخيًّا واسع العطاء، وقيل: معناه الكريم العزيز، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾[1] أي كريم عزيز، والمجد في اللغة نيل الشرف، وقد يكون بمعنى ممجد، أي مجده خلقه وعظَّموه.

٦٧. الولي: معناه الناصر للمؤمنين ثوابهم وإكرامهم، قال الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2]، وقد يكون بمعنى الأولى، ومنه قوله عليه السلام: **ألستُ أولى منكم بأنفسكم**؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**، أي من كنت أولى منه بنفسه فعليّ عليه السلام أولى منه بنفسه، وقد يكون بمعنى الولي، وهو المتولِّي للأمر والقائم به، وولى الطفل الذي يتولَّى إصلاح شأنه ويقوم بأمره، والله والي المؤمنين لأنَّه المتولِّي لإصلاح شؤونهم باليقين، والقائم بمهمَّاتهم في أمور الدنيا والدين.

٦٨. المنَّان: معناه هو المعطي المنعم، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

٦٩. المحيط: هو المستولي المتمكِّن من الأشياء الواسع لها علمًا وقدرة، فهو محيط، أي مستولى على جميع الأشياء علمًا ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[4]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ

(١) البروج: ٢١.
(٢) البقرة: ٢٥٧.
(٣) ص: ٣٩.
(٤) يونس: ٦١.

جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾(١)، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢)، وقدرة فلا يخرج عن قدرته مقدور، وإن جلَّ فاستوى عنده النملة والنحلة والطفل الفطيم والعرش العظيم واللطيف والجسيم والجليل والحقير ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣)، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(٤)، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٥).

٧٠. المبين: الظاهر البيِّن بآثار قدرته وآياته، المظهر حكمته بما أبان من تدبيره، وأوضح من بيانه.

٧١. المقيت: هو المقتدر، وقيل الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ، وقيل المقيت الذي يعطى القوت، وقيل معناه الحافظ الرقيب.

٧٢. المصوِّر: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، قال سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٦).

٧٣. الكريم: الجواد المفضل، يقال: رجل كريم أي جواد، وقيل: العزيز كما يقال: فلان أكرم على من فلان، أي أعز منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾(٧)، أي عزيز.

(١) الكهف: ١٠٩.
(٢) لقمان: ٢٧.
(٣) الروم: ٥٠.
(٤) لقمان: ٢٨.
(٥) يس: ٨٢.
(٦) التغابن: ٣.
(٧) الواقعة: ٧٧.

٧٤. الكبير: السيِّد يُقال لكبير القوم: سيِّدهم، والكبر اسم للتكبُّر والتعظُّم.

٧٥. الكافي: لمن توكَّل عليه فيكفيه ما يحتاج إليه، ولا يلجئه إلى غيره، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1]، أي كافيه.

٧٦. كاشف الضرِّ: معناه المفرِّج: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

٧٧. الوتر: الفرد، وكلُّ شيء كان فردًا قيل له: وتر.

٧٨. النور: هو الذي بنوره يبصر ذو العماية، وبهدايته يرشد ذو الغواية، والنور الضياء، سمِّي بالمصدر، ومعناه المنير توسُّعًا، أو لأنَّ به اهتدى أهل السماوات والأرضين إلى مصالحهم ومراشدهم، كما يهتدي بالنور، أو لأنَّه منوِّر النور وخالقه، فأطلق عليه اسمه.

٧٩. الوهَّاب: الكثير الهبة، والمفضال في العطيَّة.

٨٠. الناصر والنصير: بمعنى واحد، والنصرة: المعونة.

٨١. الواسع: هو الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، وقيل: الواسع الغنى، والسعة: الغناء، وفلان يعطي من سعته، أي من غنائه، والوسع: جدُّ الرجل ومقتدرته، يقول: أنفِق على قدر وسعك.

٨٢. الودود: مأخوذ من الودِّ، أي يودُّ عباده الصالحين، أي يرضى عنهم، ويقبل أعمالهم، وقد يكون بمعنى أن يوددهم إلى خلقه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) الطلاق: ٣.

(٢) النمل: ٦٢.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1]، فقد يكون (فعول) هنا بمعنى (مفعول)، كما يقال: (مهيب) بمعنى (مهيوب)، يريد أنَّه مودود، أي محبوب.

٨٣. الهادي: معناه الذي من بهدايته على جميع خلقه، وأكرمهم بنور توحيده، إذ فطرهم عليه، ودلَّهم على قصد مراده، وأقدرهم عليه بالعقول والإلهام والدلايل والإعلام، والرسل المؤيَّدة بالحجج المؤكَّدة: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾[2]، وأمَّا بيان هدايته لساير العباد، فما حكاه سبحانه: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[3]، وأمَّا إكرامه لهم فبنور توحيده فطرهم عليه:

أوَّلًا: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[4]، وقال ﷺ: **كلُّ مولودٍ يولَد على الفطرة، وإنَّما أبواه يهوِّدانه وينصرِّانه ويمجِّسانه، وإنفاذ الرسل وإقامة النار الدين والهدى.**

ثانيًا: والحثُّ والترغيب والترهب.

ثالثًا: والإمداد والألطاف والإسعاد والإسعاف بالتوفيق.

رابعًا: وهو الذي هدى سائر الحيوانات إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق وتجتلب المسار، وكيف يحترز عن الآفات والمضار.

٨٤. الوفي: معناه أنَّه يفي بعهده، ويوفي بوعده.

(١) مريم: ٩٦.
(٢) الأنفال: ٤٢.
(٣) فصلت: ١٧.
(٤) الروم: ٣٠.

٨٥. الوكيل: المتولي لنا أي القائم بحفظنا وهذا معنى الوكيل على المال. وقد يكون بمعنى المعتمد والملجأ والتوكل والاعتماد والالتجاء وقيل: المتكفل بأرزاق العباد والقائم عليهم بمصالحهم ويقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[1]، أي نِعم الكفيل بأمورنا القائم بها.

٨٦. الوارث: هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء المـلَّاك، والله الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم ومواريثهم بعد موتهم.

٨٧. البر: هو العطوف على عباده المحسن عليهم، عمَّ ببرِّه جميع خلقه، وقد يكون بمعنى الصادق كما يقال: برت يمين فلان إذا صدقت، وصدقت فلان وبر.

٨٨. الباعث: هو الذي يبعث الخلق بعد الممات، ويعيدهم بعد الوفاة ويحييهم للجزاء والبقاء.

٨٩. التواب: الذي يقبل التوبة ويعفو عن الحوبة إذا تاب العبد منها، وكلَّما تكرَّرت التوبة تكرَّر منه القبول.

٩٠. الجواد: هو المنعم المحسن الكثير الأنعام والإحسان، والفرق بينه وبين الكريم أنَّ الكريم الذي يعطى مع السؤال، والجواد الذي يعطي من غير السؤال، وقيل بالعكس، الجود: السخاء، ورجل جواد أي سخي، ولا يُقال الله تعالى السخيّ؛ لأنَّ أصل السخاوة راجع إلى اللين، يقال: أرض سخاوية وقرطاس سخاوي، إذا كان لينًا، وسمِّي السخيُّ سخيًّا للينه عند الحوائج.

٩١. الخبير: العالم بدقايق الأشياء وغوامضها، يقال فلان عالم خبير، أي عالم بكنه الشيء ومطَّلع على حقيقته، والخبر: العلم، تقول: لي به خبر أي علم.

(١) آل عمران: ١٧٣.

٩٢. الخالق: المبدء للخلق والمخترع لهم على غير مثال سبق، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[1]، وقد يراد بالخلق التقدير، كقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾[2]، أراد أقدر لكم، والله خالقه في الحقيقة ومكوِّنه.

٩٣. خير الناصرين: معناه كثرة تكرار النصر منه، كما قيل: خير الراحمين لكثرة رحمته.

٩٤. الديَّان: هو الذي يدين العباد، ويجزيهم بأعمالهم، والدين: الجزاء، يقال: كما تدين تدان، أي كما تجزى تجزي.

٩٥. الشكور: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطى الجليل الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾[3]، ولمَّا كان الشكر في اللغة هو الاعتراف بالإحسان، والله سبحانه هو المحسن إلى عباده والمنعم عليهم، لكنَّه سبحانه لـمَّا كان مجازيًا للمطيع على طاعته بجزيل ثوابه، جعل مجازاته شكرًا لهم على سبيل المجاز، كما سمِّيت المكافآت شكرًا.

٩٦. العظيم: ذو العظمة والجلال، وهو منصرف إلى عظيم الشأن وجلالة القدر.

٩٧. اللطيف: هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، أي يرفق بهم،

(١) فاطر: ٣.
(٢) آل عمران: ٤٩.
(٣) فاطر: ٣٤.

واللطف: البر والتكرمة، وفلان لطيف بالناس بارٌّ بهم، يبرّهم ويلطفهم، وقد يكـون بمعنـى اللطف في التدبـير والفعل، يقال: فلان صانـع لطيف الكفِّ، إذا كان حاذقًـا، وفي الخـبر معنى اللطيف هو أنه خالـق للخلق اللطيف، وأنَّه سمِّي العظيم؛ لأنَّه خالق للخلق العظيم، ويقال: اللطيف فاعل اللطف، وهو ما يقرب معه العبد من فعل الطاعة، ويبعد عن فعل المعصية.

٩٨. الشافي، هو رازق العافية والشفاء من غير توسُّط الدواء، ورافع البلاء باليسير من الدعـاء، وواهب عظيم الجزاء على صغير الابتـلاء، قال تعالى حكايةً عن ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1]، فهذه جملة الأسماء الحسنى.

واعلـم أنَّ تخصيص هذه الأسـماء المكرمة بالذِّكر لا يدلُّ على نفـي ما عداها؛ لأنَّ في أدعيتهم أسـماء كثيرة لم تذكر في هذه الأسـماء المعدودة، ولعـل تخصيص هذا بالذِّكر لاختصاصها بمزيَّة الشرف على باقي الأسماء.

ثمَّ اعلم أنَّ هذه الأسـماء المتعدِّدة الدالَّة على المعاني المتكثِّـرة أنَّ التكثُّر والتعدُّد إنَّما هـو في الإضافات لا في الذات المقدسـة بل هي واحدة من جميـع الجهات والاعتبارات والتحقيق أنَّ صفاته تعالى قسمان: حقيقيَّة، وإضافيَّة.

فالحقيقيَّـة: هي التي تلحقه بالنظر إلى ذاتـه، مثل كونه حيًّا موجودًا قديمًا أزليًّا باقيًا أبديًّا سرمديًّا، فهذه الصفات تلحقه بالنظر إلى ذاته تعالى.

والإضافيَّـة: هي التي تلحقـه بالنظر إلى الغير، مثل كونه قـادرًا خالقًا رحيمًا؛ فإنَّها بالنظـر إلى المخلـوق والمقدور والمرحـوم، والتعدُّد الحاصل عند الإضافـة إنَّما كان عند اعتبار أمور خارجة عن ذاته، ولا يوجب له تعدُّدًا وتكثيرًا في ذاته، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(١) الشعراء: ٨٠.

الخاتمة

في نهاية هذه الرحلة مع كتاب عدَّة الداعي ونجاح الساعي لابن فهد الحِلِّيّ، نذكر أهمَّ النتائج التي خلص إليها البحث:

١. احتوى هذا الكتاب على ستَّة أبواب، وهي مقسَّمة على أجزاء، أطلق المؤلِّف على كلِّ جزء مصطلح (قسم)، فضلًا عن ذكره مصطلح (فصل) في باطن الكتاب.

٢. كثرة استشهاد المؤلِّف بالآيات القرآنيَّة، والحديث النبويّ الشريف، والمناجاة الإلهيَّة، والتي تتعلَّق بعنوان الدعاء، وهي من فنون الشعر العربيّ.

٣. الاستشهاد بأقوال المعصومين عليهم السلام، فضلًا عن ذِكر الروايات الواردة عن الأنبياء السابقين.

٤. الاعتماد في نقل الأخبار على السلسلة الروائيَّة التي يذكرها المؤلِّف بين الحين والآخر، وغالبًا ما يذكر أسماء لمشاهير الرواة من الثقات، مثل: عبد الله بن عبَّاس، جابر بن عبد الله الأنصاريّ، عمر بن أذينة.

٥. يحتوي الكتاب على آراء ابن فهد الحِلِّيّ، التي اكتسبها من مصادر ثقافته الحوزويَّة بعد إيراد الأخبار

٦. يخلو الكتاب من المظانِّ القديمة التي نهل منها المؤلِّف، ولم يذكر سوى مصدرَين.

٧. اختلاف حجم الأبواب التي تشكَّل منها الكتاب، وقد يكون ذلك بسبب أهميَّة كلّ باب، ومقدار المادَّة التي يحتويها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٢. الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، السيِّد محمود الزرنديّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣. الأخلاق في الإسلام، بحث منشور على موقع الإسلام.

٤. الأذكار النوويَّة، يحيى بن شرف النوويّ (٦٧٦هـ)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥. إرشاد الأذهان، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ فارس حسُّون، ط١، ١٤١٠، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٦. إرشاد القلوب، الحسن بن محمَّد الديلمي (ق ٨هـ)، المجموعة، مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة عليهم السلام، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٣٧٤ش، مطبعة، أمير، قم، انتشارات الشريف الرضيّ.

٧. أسباب نزول الآيات، الواحديّ النيسابوريّ (٤٦٨هـ)، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مؤسَّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

٨. الاستذكار، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمَّد عطا، محمَّد عليّ معوَّض، ط١، ٢٠٠٠م.

٩. الاستيعاب، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ط١، ١٤١٢، بيروت، دار الجيل.

١٠. الأسلوب (دراسة بلاغيَّة تحليليَّة لأصول الأساليب الأدبيَّة)، أحمد الشايب، ط٨، منشورات، مكتبة النهضة القاهريَّة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١١. أصول البحث العلميّ ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات الكويتيَّة، الكويت، ط٤، ١٩٧٨م.

١٢. إعجاز القرآن، الباقلَّانيّ (٤٠٣هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر.

١٣. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

١٤. أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين، تحقيق: السيِّد حسن الأمين، منشورات، دار المعارف الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٥. اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، ط٤، ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلاميّ، بيروت.

١٦. الإكمال في أسماء الرجال، الخطيب التبريزيّ (٧٤١هـ)، تحقيق وتعليق: أبو أسد الله بن الحافظ محمَّد عبد الله الأنصاريّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام.

١٧. إقبال الأعمال، ابن طاووس (٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

١٨. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزوينيّ، محمَّد ابن عبد الرحمن جلال الدين (٧٣٩هـ)، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١١هـ، مطبعة أمير، قم.

١٩. الأمالي، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠. الأمالي، المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢١. الأمالي، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، ١٤١٤هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم.

٢٢. إمتاع الأسماع، المقريزيّ (٨٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣. أمل الآمل في علماء جبل عامل، الشيخ محمَّد بن الحسن الحرُّ العامليّ، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٢م.

٢٤. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزوينيّ، محمَّد ابن عبد الرحمن جلال الدين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٥. بحار الأنوار، المجلسيّ (١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابديّ الزنجانيّ، ط٢ المصحَّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ملاحظات، دار إحياء التراث العربيّ.

٢٦. البحث العلميّ الحديث، أحمد جمال الدين ظاهر، ومحمَّد أحمد زياده، منشورات دار الشروق، جدَّة، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٩٧٩م.

٢٧. البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٢٨. البلاغة والأسلوبيَّة، د، محمَّد عبد المطَّلب، ضمن سلسلة دراسات أدبيَّة، الهيأة المصريَّة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

٢٩. بيان العلم وفضله، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الكتب العلميَّة.

٣٠. تاريخ الطبريّ، الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلَّاء، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٣١. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، محمَّد بن طلحة الشافعيّ (٦٥٢هـ)، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطيَّة.

٣٢. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: عليّ شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٣. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٣٤. التبيان، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٥. تحرير الأحكام، العلّامة الحِلّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهاديريّ، إشراف: جعفر السبحانيّ، ط١، ١٤٢٠، مطبعة اعتماد، قم، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام.

٣٦. تحف العقول، ابن شعبة الحرّانيّ (ق ٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ ش، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

٣٧. تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، ط٣.

٣٨. تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة، خطبة الجهاد نموذجًا، المدرس المساعد، امير فرهنك نيا، جامعة تربيت مدرس، جمهورية ايران الإسلاميَّة، بحث منشور على موقع:

http//arabic.balaghah.net/content

٣٩. تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعيّ (٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، ١٤١٤هـ، مطبعة الرياض، دار ابن خزيمة.

٤٠. تذكرة الفقهاء، العلّامة الحِلّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، صفر ١٤١٤، مطبعة، مهر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٤١. تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطيّ الكلبيّ (٧٤١هـ)، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مطبعة لبنان، دار الكتاب العربيّ.

٤٢. تفسير ابن زمنين، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمَّد بن مصطفى الكنز، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

٤٣. تفسير ابن كثير، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٤. تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام (٢٦٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١ محقَّقة، ربيع الأوَّل ١٤٠٩هـ، مطبعة، مهر، قم المقدَّسة.

٤٥. تفسير البحر المحيط، أبي حيَّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٤٦. تفسير البيضاويّ، البيضاويّ (٦٨٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤٧. تفسير الثعلبيّ، الثعلبيّ (٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٤٨. تفسير السمرقنديّ، أبو الليث السمرقنديّ (٣٨٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٤٩. تفسير السمعانيّ، السمعانيّ (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عبَّاس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعوديَّة.

٥٠. تفسير العيَّاشيّ، محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ (٢٣٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران.

٥١. تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيب الموسويّ الجزائريّ، ط٣، صفر ١٤٠٤هـ، مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران.

٥٢. تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفيّ (٥٣٧هـ).

٥٣. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسيّ (٥٢٣هـ) تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢١هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ.

٥٤. التمهيد، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمَّد عبد الكبير البكريّ، ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، المغرب.

٥٥. تهذيب الأحكام، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٥٦. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن يعقوب مسكويه (٤٢١هـ)، حقَّقه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينيَّة، ط١.

٥٧. تهذيب الكمال، المزِّي (٧٤٢هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٥٨. التوحيد، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق، السيِّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة.

٥٩. ثواب الأعمال، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، ط٢، ١٣٦٨ش، مطبعة، أمير، قم، منشورات الشريف الرضي، قم.

٦٠. جامع البيان، ابن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطَّار، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ (٦٧١هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٦٢. جامع السعادات، ملَّا محمَّد مهدي النراقيّ (١٢٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: السيِّد محمَّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمَّد رضا المظفَّر، ط٤، مطبعة ودار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

٦٣. جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، ابن الدمشقي (٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة دانش، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم، ايران.

٦٤. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، ط١، كاملة محقَّقة، ذي الحجَّة ١٤٠٩، المطبعة العلميَّة، قم، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة.

٦٥. الخصال، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣هـ/ ١٣٦٢ش، منشورات جماعة المدِّرسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة.

٦٦. مجمع البيان، الطبرسيّ، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصَّائيِّين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٦٧. خصائص الأئمَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق: محمَّد هادي الأمينيّ، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، مجمع البحوث الإسلاميَّة، الأستانة الرضويَّة المقدَّسة، مشهد، إيران.

٦٨. الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ (٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٦٩. الدرَّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ)، تحقيق: جلال الدين عليّ الصغير.

٧٠. الدروس، الشهد الأوَّل (٧٨٦هـ) تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط١، ربيع الثاني ١٤١٤هـ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٧١. الدعاء، الطبرانيّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٣، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٧٢. الدعوات، قطب الدين الراونديّ (٥٧٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٧، مطبعة أمير، قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

٧٣. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل، (٧٨٦هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، محرَّم ١٤١٩، مطبعة، ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٧٤. الرسائل العشر، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، إيران.

٧٥. روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمَّد باقر الموسويّ الخوانساريّ الأصبهانيّ، الدار الإسلاميَّة، ط١ منقَّحة ومصحَّحة، ١٩٩١.

٧٦. روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ (٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم.

٧٧. رياض الصالحين، يحيى بن شرف النوويّ (٦٧٦هـ)، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

٧٨. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ كانون الثاني ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٩. الزهد، الحسين بن سعيد الكوفيّ (ق٣هـ)، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، ١٣٩٩هـ، المطبعة العلميَّة، قم.

٨٠. السرائر، ابن إدريس الحِلِّيّ (٥٩٨هـ)، ط٢، ١٤١٠هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٨١. سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٢. سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٣. سنن أبي داوود (٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحَّام، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٤. سنن الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن ضحَّاك الترمذيّ أبو عيسى (٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٩م.

٨٥. سنن الترمذيّ (٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨٦. السنن الكبرى، البيهقيّ (٤٥٨هـ)، دار الفكر.

٨٧. السنن الكبرى، النسائيّ (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفَّار سليمان البنداري، سيِّد كسروي حسن، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٨٨. سير أعلام النبلاء، الذهبيّ (٧٤٨هـ)، تحقيق وإشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مأمون صاغرجي، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٨٩. شرح مسلم، النوويّ (٦٧٦هـ)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان.

٩٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

٩١. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، حقَّقه وعني بتصحيحه: عدَّة من الأفاضل، ط١، تابستان، ١٣٦٢ش، مطبعة چاپخانه دفتر تبليغات إسلامي، مكتب الإعلام الإسلاميّ، الحوزة العلميَّة، قم، إيران.

٩٢. شفاء السِّقام، تقي الدِّين السبكيّ (٧٥٦هـ)، ط٤، ١٤١٩.

٩٣. صحيح البخاريّ، البخاريّ (٢٥٦هـ)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٤. صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ (٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٩٥. ضعفاء العقيليّ، العقيليّ (٣٢٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٩٦. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيِّد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، ط١، ١٣٩٩، مطبعة الخيام، قم.

٩٧. عدَّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الأسديّ الحِلِّيّ، تحقيق: دار الكتاب الإسلاميّ، صحَّحه وعلَّق عليه: أحمد الموسويّ القمِّيّ، ط١، قم المقدَّسة، (د.ت).

٩٨. العقد النضيد والدر الفريد، محمَّد بن الحسن القمِّيّ (ق ٧هـ)، تحقيق: عليّ أوسط الناطقيّ، سيِّد هاشم شهرستاني، لطيف فرادي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ١٣٨١ش، دار الحديث للطباعة والنشر.

٩٩. عمدة القاري، العينيّ (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٠٠. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ (٨٨٠هـ)، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة، سيِّد الشهداء، قم.

١٠١. عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمَّد الليثيّ الواسطيّ (ق٦هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الحسينيّ البيرجنديّ، ط١، مطبعة دار الحديث.

١٠٢. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمَّد بن أحمد بن سالم السفارينيّ الحنبليّ، تحقيق: محمَّد عبد العزيز الخالديّ، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠٣. غريب الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الجبوريّ، ط١، ١٤٠٨، دار الكتب العلميَّة، قم.

١٠٤. غريب الحديث، الحربيّ (٢٨٥هـ)، تحقيق: دكتور سليمان بن إبراهيم بن محمَّد العاير، ط١، ١٤٠٥، مطبعة مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، جدَّة.

١٠٥. الفايق في غريب الحديث، جار الله الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

١٠٦. فتح الباري، ابن حجر (٨٥٢هـ)، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٠٧. الفتوحات المكيَّة، ابن عربيّ (٦٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٠٨. فقه الرضا، عليّ بن بابويه (٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرَّفة، ط١، شوَّال ١٤٠٦، المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدَّسة.

١٠٩. فقه القرآن، القطب الراونديّ (٥٧٣هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، ط٢، ١٤٠٥هـ، مكتبة آية الله العظمى النجفيّ المرعشيّ.

١١٠. فلاح السائل ونجاح المسائل، السيِّد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، تحقيق: غلام حسين المجيديّ، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلاميّ (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ)، قم، ط١، ١٤١٩هـ.

١١١. فن البحث العلمي، (بيفردج و أ.ب)، ترجمة: زكريا مهدي، منشورات دار النهضة العربيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

١١٢. قرب الإسناد، الحميريّ القمِّيّ (٣٠٠هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٣، مطبعة، مهر، قم.

١١٣. الكافي، الكلينيّ (٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، ١٣٦٣ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

١١٤. الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ)، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزَّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١٥. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عبَّاس ومحمَّد محمود الحلبي وشركاهم، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

١١٦. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، محرَّم الحرام ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، مطبعة دار الحديث.

١١٧. كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين ابن محمَّد السيوري الحِلِّيّ، تحقيق: السيِّد محمَّد القاضي، عنيت بنشره: المكتبة المرتضويَّة المختصَّة بالآثار الجعفريَّة، (د.ت).

١١٨. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق: صفوت السقَّا وبكري الحيَّاني، منشورات دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١١٩. الكنى والألقاب، عبَّاس القمِّيّ، منشورات مكتبة الصدر، قم، إيران، ط١، ١٩٨٤م.

١٢٠. لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، محرم ١٤٠٥، نشر أدب الحوزة، قم، إيران

١٢١. لسان الميزان، ابن حجر (٨٥٢هـ)، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٢٢. المجازات النبويَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق وشرح: طه محمَّد الزيتيّ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

١٢٣. مجمع الزوائد، الهيثميّ (٨٠٧هـ)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٢٤. المجموع، محيي الدين النوويّ (٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٢٥. المحاسن، أحمد بن محمَّد بن خالد البرقيّ (٢٧٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد جلال الدين الحسينيّ (المحدِّث)، ١٣٧٠هـ/ ١٣٣٠ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

١٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيَّة الأندلسيّ (٥٤٦هـ)،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمَّد، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلميَّة، لبنان.

١٢٧. المحلَّى، ابن حزم (٤٥٦هـ)، دار الفكر.

١٢٨. مختلف الشيعة، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، ذى القعدة ١٤١٣هـ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٢٩. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، ط١، قم، إيران، ٢٠٠١م.

١٣٠. المستدرك على الصحيحَين، محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣١. المستدرك، الحاكم النيسابوريّ (٤٠٥هـ)، تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ.

١٣٢. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطيّ (٧٤٩هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٣٣. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلِّيّ (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المأمون للتراث.

١٣٤. مسند الشاميين، الطبرانيّ (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

١٣٥. مسند الشهاب، ابن سلامة (٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

١٣٦. مسند زيد بن عليّ، زيد بن عليّ (١٢٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١٣٧. المسند، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٣٨. مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ (ق ٧هـ)، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨، مطبعة، دار الحديث.

١٣٩. مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (١٤٨هـ)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٤٠. مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.

١٤١. المصنَّف، ابن أبي شيبة الكوفيّ (٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحَّام، ط١، جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٤٢. معاني الأخبار، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٤٣. المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ (٦٧٦هـ)، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازيّ، ١٣٦٤/ ٣/ ١٤ش، مطبعة مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم.

١٤٤. المعجم الكبير، الطبرانيّ، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢ مزيدة ومنقَّحة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربيّ.

١٤٥. المعجم الوسيط، الطبرانيّ (٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمَين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحرمَين للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤٦. المقنع، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ، مطبعة اعتماد، مؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام.

١٤٧. مكارم الأخلاق، الطبرسيّ (٥٤٨هـ)، ط٦، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضي.

١٤٨. من لا يحضره الفقيه، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٤٩. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

١٥٠. مناهج البحث العلميّ، عبد الرحمن بدوي، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

١٥١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئيّ (١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيِّد إبراهيم الميانجي، ط٤، المطبعة الإسلاميَّة بطهران، بنياد فرهنگ امام المهدي (عج).

١٥٢. منهجيَّة البحث العلميّ في العلوم الإنسانيَّة، عبُّود عبد الله العسكريّ، منشورات دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٥٣. الموضوعات، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق وضبط وتقديم: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، المكتبة السلفيَّة، المدينة المنوَّرة.

١٥٤. ميزان الاعتدال، الذهبيّ (٧٤٨هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٥٥. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلوانيّ (ق ٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٦. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحي، ط٤، ١٣٦٤ش، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران.

١٥٧. نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمَّد عبده، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة، قم، دار الذخائر، قم، إيران.

١٥٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن الحرّ العامليّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، ط٤، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.